مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد الثاني عشر
شهر جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ -كانون الثاني ٢٠٢١م

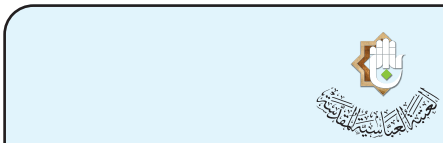

اوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

متابعة وتنفيذ

السيد عقيل الياسري

هيأة التحرير

بدر العلي

مهند السهلاني

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

١٠ بسم الله
السيد محمد جمال الهاشمي

١٣ القرآن شيء والقرآءات شيء آخر
الشيخ محمد هادي معرفة

١٦ المحكم والمتشابه
هادي كاشف الغطاء

١٩ لماذا الاختبار من الله؟
الشيخ محمد جواد مغنية

٢٢ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٢٧ هل الاعجاز يهدم قوانين العقلية المسلّمة؟
الشيخ جعفر السبحاني

٣٢ العقل في نظرة الاسلام
الشيخ محمد أمين زين الدين

٣٧ حكمة الله تعالى في تفضيل الشهور الثلاثة
السيد محمد باقر السيستاني

٣٨ علما الفقه والأصول مترابطان بترابط متبادل على طول التاريخ
آية الله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض

٤١ علاقة علم الرجال بالعلوم الشرعية
الشيخ عبد الهادي الفضلي

٤٢ نظرة على التاريخ
السيد جعفر مرتضى العاملي

٤٤ خبر غدير خم
السيد محسن الأمين

٤٦ مشرق النور
الشيخ باقر شريف القرشي

٥٢ اسلوب النبي صلى الله عليه وآله في تربية الطفل
الشيخ محمد تقي فلسفي

٥٦ قيمومة الرجال على النساء
العلامة الطباطبائي

٦٠ الخاطرة
د. محمود البستاني

٦٥ رائعة الشيخ حمادي في رثاء الامام الحسين عليه السلام
الشيخ حمّادي نوح

٦٨ في مدح الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه
السيد حيدر الحلي

الورقة الأولى ...

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًا﴾

وها هي السلّة الثانية عشرة بين يديك عزيزي القارئ الكريم ملأناها لك من بساتين العلماء فيها الفواكه الشهية، والثمرات الطرية، والورود الزكية، منها ما يسدُّ جوع المتعلّمين من مباحث قرآنية، ومواضيع فكرية، ومطالب علمية، ومنها ما يعطّر نفوسهم من شواهد تاريخية، ومواعظ اجتماعية، وباقات ثقافية.

ولا شكّ أخي القارئ في أنّ هذه البساتين حُرثت أوراقها بقلم القوّة والبراعة، وزُرعت بفكرة الحبّ والطاعة، وسُقيت بحبر الورع والشجاعة، حتّى أصبحت أوراقها تظلّل الوافدين، وجلودها تسرُّ الناظرين، ومواضيعها القيّمة تُطعم المتعلّمين، وأضحى السيّاح ما بينها متجوّلين، وغدا جيرانها ما بين الملأ متفاخرين.

فلا تحرم نفسك أيها القارئ من هذه (الأوراق المعرفية) وطالع ما فيها بتأمّل وتدبّر، ولا تكتف بالنظر إليها، أو بالتفاخر بها، بل غاية إيجادها هو النفع والتعلّم، ولو على سبيل النجاة، ولا تكن الأخير فتهلك.

أوراق قرآنية

بسم الله

السيد محمد جمال الهاشمي

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

لقد كانت عادة المشرعين قبل نزول القرآن أن يفتتحوا مشاريعهم باسم عظمائهم، وكانت العظمات المقدسة عندهم تختلف في المادة والصورة، فرب عظمة كانت لصنم على شكل حيوان أعجم، ورب عظمة كانت في جبار عنيد، ورب عظمة كانت في كوكب سماوي أو عنصر أرضي، إن تلك العظمات كان يخلقها الإنسان حسب ذوقه ونظره، وحينما نزل القرآن كان أول معول وجهه إصلاحه الاجتماعي إلى نسف هذه العظمات المزيفة، وتوحيد العظمة لله وحده من الكائنات، مهما عظمت منزلتها فإنها تندك تماماً حينما تواجه عظمة الله خالق السماوات والأرض، وإن العظمة لله وحده، ولذلك لا يحق لمشروع أن يفتتح إلا باسم الله الرحمن الرحيم.

والله: اسم للذات المستجمعة لكل صفات الجمال والجلال، والتي انبثقت عنها العوالم والأكوان، الله إنه حقيقة معلومة مجهولة، معلومة بصفاته وكمالاته، ومجهولة بحقيقته وذاته، الله ذلك الأفق الذي أشرقت منه رسالات الأنبياء، وحامت على ظلال أشعته أفكار الفلاسفة والحكماء، الله ذلك الموجود الذي حاول الماديون إنكاره هرباً من تبعات الإيمان به، فاتجهت معارفهم إلى غيره، وحينما أرادوا إثبات وجوده تخالفت آراؤهم، فهم بين من جعل المحسوس حجاباً للمعقول، فلا يؤمن بغير ما يحسه ويلمسه، وبين من اضطرب عقله في المحسوس نفسه، فإنه مردد بين المادة والطاقة، والمادة مركبة من عناصر تتصل أواصرها بالطاقة، أما الطاقة نفسها فإنها مجهولة الهوية، ولا يزال العلمانيون يحومون حول هذه الطاقة الهائلة التي تتصل بكل عناصر الحياة، وتتصل بها كل عناصر الحياة، إنه آمن بالطاقة، وتجاهل موجد الطاقة، وموزعها في الكائنات بهذا النظام الدقيق العادل، إنه يخترع لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة عنواناً، ويثبت لها تأريخاً، إنه يبذل هذا الجهد ليحرف نظر عقله عما وراء هذه الأسماء والعناوين، ولو أنصف لمزق سجلاته المزيفة، واكتفى بعرض الحقيقة الخالدة، فإن فيها كل ما حاول ويحاول من الأسرار والحقائق.

الله ذاك الموجود الذي اتجهت إليه أنظار العرفاء، فهربوا من الطبيعة إليه، فهم يعاكسون الماديين في السير، إن هؤلاء فارقوا الطبيعة ليتصلوا بالله، وأولئك فارقوا الله ليتصلوا بالطبيعة، فهما في مسلكين متعارضين، وأعتقد بأن الطريقين يؤديان آخر الأمر إلى غاية واحدة؛ لأنهما يحومان حول الحقيقة الخالدة، وإن ظن المادي أنه قد ابتعد عنها في سيره، ولكنه لو تأمل جيداً لرأى نفسه يقترب منها بالرغم من أوهامه الفارغة، يقترب منها كما يقترب إليها رفيقه العارف،

وسيندكان أخيراً في دوامتها العارمة.

إن الطبيعة ليست إلا وسيلة غايتها الله، إنها ليست إلا قشراً إذا كسرته وجدت به الله، إن الإنسان الذي خصه الله بالفكر دون سائر الموجودات لا يتمكن من التملص عن الحقيقة الإلهية التي تدعو فكره إليها في كل ظاهرة وخفية كونية، المادي كالعارف كلاهما يحومان حول شيء واحد، يحومان حول الحقيقة، والحقيقة لله وحده، الله تلك الحقيقة التي يستحيل وعيها وحدها؛ لأنها كما قال عنها الإمام الباقر عليه السلام: «**كلما ميزتموه في أفهامكم فهو مصنوع مثلكم، مردود إليكم**» وكيف مخلوق المخلوق خالق السماوات والأرض، إنك لا تتمكن من تحديده إلا بعد أن تتجاوز في مقاييسك حدود الأزمان والأكوان لتتصل بعالم اللازمان وبجو اللامكان، ولا يكفي اتصالك به وحده ما لم تستوعب آماده كلها لتعطي عنه فكرة كاملة، وهيهات هيهات أن يستوعب فكر الإنسان جانباً من عالم الإمكان فضلاً عن أن يتجاوزه إلى عوالم الرحمن، ولذلك صارت معرفة حقيقته جلت عظمته من أظهر مصاديق المستحيل.

الله: تلك الذات الواجبة بذاتها، والتي ينفرد وجودها بالذات الأحدية؛ لأنه لو كانت هناك ذات ثانية واجبة في وجودها لكان وجوبها ذاتياً لها، ومعنى الوجوب الذاتي عدم تطرق الإمكان والامتناع إلى أي طرف من أطراف عالمها اللامتناهي، فلو تصورنا هناك ذاتاً أخرى واجبة في وجودها، لكانت الذات الأولى ناقصة في وجوب وجودها لعدم إحاطتها بالذات الثانية، وهو يخالف الوجوب الذاتي الذي يشترط فيه الكمال الوجودي-على تعبير الفلاسفة-فتصور الوجوب الثاني ينافي وجوب وجود الواجب الأول، ولذلك صارت (الأحدية) صفة خاصة للواجب جل وجوده الأقدس.

[مجلة الأضواء: العدد الأول]

شيءٌ والقـــراءات شيءٌ آخـــر

الشيخ محمد هادي معرفة

هنالك فَرقٌ فارق بين القرآن والقراءات؛ حيث القرآن هو النصّ المُوحى به من عند ربّ العالمين نَزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين، وهو الذي تعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل، تلقّوه من الرسول تلقّياً مباشراً، وتداولوه يداً بيد حتّى حدّ التواتر المستفيض، لا اختلاف فيه ولا اضطراب مُنذ يومه الأوّل فإلى مدى العصور وتعاقب الدهور، وهم على قراءةٍ واحدة كان يَقرؤها النبيّ الكريم (صلّى الله عليه وآله) تَداوله الأصحاب والتابعون لهم بإحسان وعلى أثرهم سائر الناس أجمعون.

أمّا القراءات فهي اجتهادات مِن القرّاء للوصول إلى ذلك النصّ المُوحّد، ولكن طرائقهم هدتهم إلى مُختلف السبل فضلاً على تنوّع سلائقهم في سلوك المنهج القويم، فذهبوا ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، كلٌّ يضربُ على وتره.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**القرآن واحد، نزل مِن عند واحد، ولكنّ الاختلافَ يجيء مِن قِبَل الرواة**»[1] يعني: أنّ الاختلاف حادث على أثر اختلاف نَقَلَة النصّ وَهم القُرّاء.

ومِن ثَمّ قال الإمام بدر الدِّين الزركشي: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المُنزل على مُحمّد صلى الله عليه وآله، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور، في كِتابَة الحروف أو كيفيّتها[2] أي الاختلاف الحاصل فيما بعد، في كيفية كتابته أو كيفية قراءته.

على أنّ هذه الآثار إنّما نُقلت نقلاً بالإرسال، وعلى فرض الإسناد وصحة السند فهي أخبار آحاد لا يثبت به القرآن، المعتبر فيه النقل المتواتر القطعي نقلاً على سعة الآفاق، وليس في سِوى قراءة حفص ذات الإسناد الذهبي إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ملأت الخافقَينِ.

أمّا المنقول عن ابن عبّاس فلم يَثبت وحاشاه أن يَتعدّى قراءة شيخه ومولاه إمام المتّقين.. وقراءة الأعرج شاذّة لا اعتداد بها.

وكان ابن مسعود يَرى جواز تبديل النصّ بالأجلي من غير أنْ يجعله قرآناً أو يعتقده نصّاً مُوحى به، وكان عمله هذا مرفوضاً لدى المحقّقين.

والمنقول عن أُبيّ ومِثله عن ابن مسعود أيضاً هي زيادات تفسيريّة لغرض الإيضاح من غير أن يكون زيادةً في النصّ أو تغييراً في لفظ القرآن.

على أنّه لا حجّية في مزاعم أُناس -مهما كانوا- ما لم تقع موضع قبول عامّة المسلمين فضلاً عن رفضهم إيّاها، كما وقع بالفعل.

قال ابن قتيبة: وأمّا نقصان مُصحف عبد الله بحذفه (أُمّ الكتاب) و(المعوّذتين)، وزيادة (أُبيّ) بسورتي القنوت، فإنّا لا نقول: إنّ عبد الله وأُبيّاً أصابا، وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أنّ المعوّذتين كانتا كالعوذة والرُّقْيَة وغيرهما، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يُعوِّذ بهما الحسن والحسين[3]، كما كان يعوذ بـ (أعوذ بكلمات الله التامّة)[4]، فظَنّ أنّهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنّه وعلى مخالفة الصحابة جميعاً، كما في مواضع أُخر خالف فيها جميع الأصحاب.

وإلى نحو هذا ذهب أُبيّ في دعاء القنوت؛

---

(١) الكافي: ج٢ / ص٦٣٠ / ح ١٢.
(٢) البرهان: ج١، ص٣١٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ج٥ / ص١٣٠، من حديث زر بن حبيش.
(٤) أخرجه البخاري: ج٤ / ص١٧٩.

لأنّه رأى رسول الله ﷺ يدعو به في الصلاة دعاءً دائماً، فظنّ أنّه من القرآن، وأقام على ظنّه وعلى مخالفة الصحابة.

قال: وأمّا (فاتحة الكتاب) فإنّي أشكّ فيما رُوي عن عبد الله مِن تركه إثباتِها في مُصحفه، فإنْ كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أنْ يَظنّ به الجهل بأنّها من القرآن، وكيف يُظنّ به ذلك وهو من أشدّ الصحابة عنايةً بالقرآن؟!

ولكنّه ذهب فيما يَظنّ أهل النظر إلى أنّ القرآن إنّما كُتب وجُمع بين اللوحين ؛ مَخافةَ الشكّ والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد؛ لقِصَرِها ولأنّها تُثنّى في كلّ صلاة، ولا يجوز لأحدٍ من المسلمين ترك تعلّمِها وحفظها[1].

قال سيّدنا الأُستاذ طاب ثراه: إنّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات؛ لأنّ الاختلاف في خصوصيات حادثة تأريخيّة ـ كالهجرة مثلاً ـ لا ينافي تواتر نفس الحادثة، على أنّ الواصل إلينا بتوسّط القرّاء إنّما هو خصوصيات قراءاتهم، وأمّا أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين وبنقل الخَلف عن السَّلف وتحفّظهم عليه في الصدور وفي الكتابات، ولا دَخل للقرّاء بخصوصهم في ذلك أصلاً ؛ ولذلك فإنّ القرآن ثابت بالتواتر، حتّى لو فرضنا أنّ هؤلاء القرّاء لم يكونوا في عالم الوجود، إنّ عظمةَ القرآن ورِفعةَ مقامِه أعلى من أنْ تتوقّف على نقل أولئك النفر المحصورين[2].

[شبهات وردود حول القرآن الكريم]

(١) تأويل مشكل القرآن: ص٤٢ ـ ٤٩.

(٢) البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي: ص١٧٤.

المحكم والمتشابه

الشيخ هادي كاشف الغطاء

قد يطلق المحكم ويراد به الكلام المتقن الجميل النظم الحسن التعبير بحيث يكون خالصاً من الضعف في الألفاظ والمعاني. وهذا المعنى هو الذي أراده عز وجل من قوله تعالى في القرآن الكريم:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آياته﴾ وقد يطلق المحكم ويراد به الكلام الواضح الدلالة البين المعنى كما لو كان نصاً في معناه أو ظاهراً فيه وهذا المعنى هو الذي أراده عز وجل من قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

والمتشابه قد يطلق ويراد به الكلام المتماثل في البلاغة والإعجاز وحسن النظم والسبك. وهذا المعنى هو الذي أراده تعالى في قوله: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾ وقد يطلق المتشابه ويراد به الكلام غير الواضح الدلالة على المعنى المراد كالآيات المجملة التي تحتاج إلى تفصيل والآيات المؤولة التي لا تدل على معنى إلا بعد تأويلها وتفسيرها والآيات المشكلة التي خفيت الدلالة فيها للالتباس والإبهام. وهذا المعنى هو الذي أراده الله بقوله في كتابه الشريف

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَات﴾ وعليه فالنص والظاهر من أقسام المحكم

بالمعنى الثاني والمجمل والمؤول والمشكل من أقسام المتشابه بالمعنى الثاني، إذا عرفت ذلك فاعلم أنه لا خلاف بين كافة أصحابنا في عدم جواز الأخذ بالمتشابه بأقسامه الثلاثة من دون الرجوع إلى أهل العصمة عليهم السلام عدا ما يحكى عن المحدث الكاشاني، فإنه قد جوز ذلك لبعض أهل الكشف جرياً على الطريقة الصوفية، وإنما وقع الخلاف في المحكم فالذي عليه الأصوليون كافة جواز الاخذ به سواءٌ كان نصاً أم ظاهراً واستقامت طريقتهم على ذلك من غير نكير. وأما الأخباريون من أصحابنا، فاضطرب كلامهم في الأخذ بالمحكم واختلفوا في ذلك فمنهم من قال بعدم جواز التمسك بالقرآن مطلقاً من غير بيان من أهل العصمة عليهم السلام. وقد حكى صاحب الحدائق في الدرة النجفية أن أول من فتح هذا الباب (الاسترابادي) صاحب الفوائد المدنية وقيل إنه يظهر من كلام الشيخ في التبيان ومن العلامة في نهاية الأصول وبعضهم من قال بجواز الأخذ بالنص من المحكم دون الظاهر ويحكى هذا القول عن صدر الدين في شرح الوافية ومنهم من وافق الأصوليين، كما يحكى ذلك عن المحدث (الجزائري) وعن (الفاضل القزويني) في كتابه شرح العدة وعن صاحب الفوائد الغروية ويدل على ما ذهب إليه الأصوليون أمور:

منها: بناء المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وآله إلى زماننا هذا على الرجوع لمحكم القرآن الكريم في معرفة أحكامهم الشرعية والقضايا التاريخية.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن**﴾ فإنه يدل على حث الله تعالى على التدبر في القرآن الكريم والتفكر في معانيه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ فإنه لولا لزوم الاخذ به، لما كان فيه الهداية للمتقين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فلو كان لا يصح العمل بالقرآن الكريم والأخذ به، لما كان بيانا للناس ولا فيه هدى لهم ولا موعظة للمتقين.

ومنها: الأخبار الدالة على ذلك كما في الكافي بإسناده عن السكوني عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال في حديث: «**إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن**» وما رواه الصفار في البصائر والصدوق في المعاني والطبرسي في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما وجدتم في كتاب الله فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه**» وما تواتر نقله عن رسول الله أنه قال صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً**».

وما روي عن المعصومين عليهم السلام من عرض الأخبار على القرآن فما وافق منها الكتاب يؤخذ به وما يخالفه لم يؤخذ به. فعن الصادق عليه السلام: «**كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**» فلو لم يكن المحكم حجة علينا فكيف نستطيع معرفة الموافقة والمخالفة. وقد تقدم في مبحث حجية القرآن ما ينفع في المقام.

[الهادي فيما يحتاجه التفسير من مبادي]

لماذا الاختبار من الله؟

الشيخ محمد جواد مغنية

تسأل: إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فما هو الوجه لقوله تعالى:

﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ﴾ [المائدة: ٩٤].

وقوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ﴾ [المائدة: ٩٤]؟

الجواب: إن الله سبحانه لا يختبر عبده ليعلم منه ما لم يكن يعلم.. كلا، فإنه أعلم به من نفسه، وإنما يمتحنه لأمور:

(منها): أن يترجم العبد ما هو كامن في نفسه إلى عمل ملموس، حيث اقتضت حكمته جل ثناؤه أن لا يحاسب الناس على ما يعلمه منهم، ولا على ما هو كامن في نفوسهم من القوى والغرائز، وإنما يحاسبهم على ما يقع منهم من أعمال..

إن الغرائز النفسية من حيث هي لا تستدعي حسابا ولا عقابا، ما دامت كامنة في باطن الإنسان، ولا يظهر لها أثر يرى بالعين، أو يسمع بالأذن.

قال الإمام علي عليه السلام: يقول الله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

ومعنى ذلك إنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن كان

سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب.

و(منها): أن يتميز الخبيث من الطيب، وتظهر حقيقته أمام الناس، فيعاملوه بما يستحق:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]. وكثيرا ما يقع هذا في حياة الناس - مثلا - أنت تعلم ان زيدا من أهل العلم والمعرفة، وصادف وجوده بين قوم لا يعرفون منه ما تعرف، وأردت أن يعلموا مكانه من الوعي والعلم، فتسأله بمحضر منهم ليتكلم ويُعرَف..

أو تعلم انه سخيف جاهل، وهم يظنون انه عالم حكيم، فتمثل نفس الدور لتظهر لهم سخفه وجهله.

و(منها): إن كثيرا من الناس يجهلون حقيقة أنفسهم، ويقولون: لو سمحت لنا الظروف لكنا كذا وكيت، فيمنحهم الله الاستطاعة ليلقي الحجة عليهم، ويعرفهم بحقيقتهم وواقعهم:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

وطلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم يوماً للراحة والعبادة، فجعل الله لهم يوم السبت، وأخذ عليهم العهد أن لا يفعلوا فيه شيئا، كما طلبوا.. ولكن ساق إليهم الحيتان في هذا اليوم، حتى إذا ذهب السبت اختفت الحيتان، فاحتال بنو إسرائيل لصيدها ونقضوا العهد.

وعلى الوجه الأول، أي ظهور الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب، على هذا يحمل قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾.. وقوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ﴾.. وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ونحو هذه من الآيات.

[تفسير الكاشف]

أوراق قرآنية

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

الحلقة العاشرة: قواعد السلوك الإنساني:

تقدّم في الحلقة السابقة تفصيل القاعدة الأولى من قواعد السلوك الإنساني -وهي: قاعدة اتباع الحكمة والفضيلة- ..

القاعدة الثانية: مقياس تشخيص الحكمة والفضيلة

١. مقياس تشخيص الحكمة[١]:

إنّ الحكمة في السلوك والعمل -على ما تقدّم توضيحه في الحلقة السابقة- هَدي يسير بالإنسان نحو سنن السعادة، ويجنّبه سنن الشقاء في الحياة؛ إذ متى كان حاضراً في سلوكه، وفاعلاً في تصرفاته وأفعاله -يعتبر بما يعلمه من الحقائق والقيم وآثارها، ويوليها من الاهتمام ما يناسبها واضعاً الأشياء في مواضعها-، انتفع حينئذٍ بهذا الهدي وترتبت عليه بركته.

ومتى أعرض عن العمل بمقتضاه - فأوقف نور الحكمة في عقله وفاعليتها في سلوكه- ، أحبط عمله وأضرّ بنفسه..

إلّا أن اقتفاء الإنسان للحكمة -عبر اهتمامه اللائق بالأشياء- ينبغي أن يكون بمقدار (اطلاعه عليها)، و(أهميتها له)، و(مؤونتها).. فمن اهتمّ بالشيء فوق الاهتمام اللائق به، أو تسامح فيه على حساب غيره -مما هو دونه-، فقد صادم وجدانه، وتمت الحجة عليه في ميزان العقل، وتحمل مسؤولية عمله لدى العقلاء..

وبذلك يتكوّن لدينا معادلة ثلاثية في كل مورد على أساس ملاحظة درجة الإدراك، ومستوى المدرَك، ومقدار المؤونة.

والمراد بـ(درجة الإدراك): درجة انكشاف الشيء وإحرازه؛ فإنه قد يكون علماً أو اطمئناناً أو ظنّاً أو احتمالاً؛ بحسب درجة انكشاف الشيء للناظر.. فكلّما كان الشيء أكثر انكشافاً ووضوحاً وأشّد إحرازاً اقتضى ذلك زيادة الاعتناء به عمّا إذا لم يكن بتلك الدرجة..

والمراد بـ(مستوى المدرَك): مستوى أهميّة الشيء ومصلحته، وهو يتدرّج من المصلحة القليلة التي ترقى عن درجة اللامصلحة بدرجة واحدة، حتّى يبلغ القمم العُليا التي لا نهاية لها.. فكلّما كان الشيء أكثر أهميّة ومصلحة اقتضى ذلك زيادة الاهتمام به والتوجّه إليه، وكلّما كان الشيء أكثر مفسدة وضرراً وخطراً اقتضى كذلك الابتعاد عنه واجتناب ارتكابه والخوض فيه.

والمراد بـ(مؤونة رعاية المدرَك): الجهد والعناء الذي يبذله الإنسان أو الضرر الذي يتحمّله لأجل تحصيل المدرَك.. ولا بدّ من خصم هذا الجهد والعناء من أهميّة المدرَك؛ لأنّ المدرَك مطلوب لأجل السعادة والراحة، وهذا الجهد بطبيعته يقلّل من مستوى الراحة التي يوفرها المدرك.

ورعاية هذه المعادلة الثلاثيّة أمر واضح

(١) سيأتي تفصيل مقياس الفضيلة في حلقة قادمة إن شاء الله تعالى.

وبديهيّ عند كلّ إنسان، وبرنامج جُهِّز به عقله منذ طفولته، يجري في ارتكازه ووجدانه مجرى الدم في عروقه، ويمارسه في كلّ تصرّف واعٍ من تصرّفاته وأفعاله – وإن لم يلتفت إليها تفصيلاً ولم يستحضرها بأطرافها–. ومن انعكست في نفسه، وتمثّلت في تصرّفاته كان موصوفاً بالحكمة والرشد، ومن لم تتمثّل في تصرّفاته كان جاهلاً..

ومثال ذلك: العمل الاقتصادي الذي يمارسه التاجر؛ فهو يلاحظ هذه العوامل الثلاثة فيما يُقدم عليه من تجارة وكسب؛ فيلتفت أولاً إلى مدى احتمال الربح أو الضرر، ثم إلى حجم الربح أو الضرر المحتمل، ثم إلى الجهد الذي تقتضيه منه تلك التجارة، وبذلك يقيس ما إذا كان الإقدام على هذه التجارة أمراً عقلائياً أم لا..

وهكذا الطفل في كل فعل يقدم عليه يبتغي به الوصول إلى غاية؛ فهو يلاحظ في ارتكازه مقدار احتمال وصوله إلى الغاية، ودرجة إصراره على تلك الغاية وأهميتها عنده، ومقدار العناء الذي سيتحمله للوصول إليها.

ويُلاحظ:

١. أن معنى المعادلة بين العناصر الثلاثة: أنه كلّما كان بعض العناصر الثلاثة أقوى كفى – في ترتيب الأثر– درجة أقل من العناصر الأخرى؛ فإذا كان الإدراك علماً كفى في المدرك أول درجات الأهمية متى كان خفيف المؤونة جداً، وإذا كان الإدراك ظنّاً لزم في المدرَك درجة أعلى من الأهمية، وإذا كان الإدراك احتمالاً لزم في المدرَك مزيدٌ من الأهمية.

وعليه: فلا بدّ في المعادلة من إضافة درجة الإدراك إلى مستوى المدرَك، مع تنقيص مقدار المؤونة من مستوى المدرَك.

٢. أن التصرف الحكيم قد يكون فعلاً إذا نهضت أطراف المعادلة بتوفير الدرجة المطلوبة في مقياس الحكمة للفعل، وقد يكون حياداً إذا تساوى الفعل والترك في هذا المقياس، وقد يكون تركاً إذا نهضت أطراف المعادلة بتوفير ما يبرّره في مقياس الحكمة.. على أنّ لترجيح الفعل أو الترك درجات أيضاً؛ فقد يكون الرجحان رجحاناً لا يبلغ درجة الإلـزام وقد يبلغ تلك الدرجة، كما أنّ لكلّ من الإلزام وعدمه درجات غير محصورة.

جريان القاعدة في موارد الفعل غير الحكيم

٣. أن مورد إجراء هذه المعادلة لا ينحصر بالعمل الحكيم، بل تجري في كلّ تصرّف– ولو لم يكن حكيماً–؛ فإنّ من يسلك خلاف الحكمة يجري أيضاً على محاسبة الإدراك والمدرك والمؤونة؛ فلا يقدم إلّا عندما تتفاعل هذه العناصر لتبلغ نتيجتها مستوى خاصاً يقتضي الإقدام.

ولكن الغلط الذي يقع منه هو أنه لا يضع معلومات صحيحة في المعادلة؛ فربما كان الإدراك احتمالاً ضعيفاً، ولكن لشدة رغبته في المدرَك يجعله ظناً أو اطمئناناً، وربما كان المدرك شيئاً قليلاً من سعادة عاجلة مقرونة بأضرار آجلة؛ فلا يضع تلك الأضرار في الحسبان، لعدم النظر إلى العواقب، وربما يكون الجهد والعناء كبيراً، ولكنّه يقدّره بأقل منه لعدم دراسة القضية..

ومن هنا يصحّ أن يقال: إنّ المعادلة تحدّد مقتضى الحكمة في ضوء المعلومات المفترضة بنحو القضية الشرطية- أي: إذا كانت المعلومات هكذا فمقتضى الحكمة العمل هكذا-. ولا تتخلّف هذه القضيّة الشرطية عن الإنتاج، ولكن التخلُّف إنما يقع في الشرط وهو المعلومات المفترضة[1].

مدى انضباط المعادلة الثلاثية:

وبعد اتضاح هذه القاعدة ينبغي ذكر نقاط مهمة متعلّقة بها:

(النقطة الأولى): إن الحَكَم في هذه المعادلة هو الفطرة الإنسانية، ولا سبيل إلى ترتيبها ترتيباً فنياً؛ بحيث تنضبط بلغة علميّة رياضية - كما هو الحال في سائر ما في العلوم من المعادلات-؛ وذلك لعدم تيسّر وضع مقياس ثابت وواضح لطرفين في هذه المعادلة، وإن تيسّر ذلك بعض الشيء في طرفها الثالث..

وتوضيح هذا الأمر يتم بملاحظة حال الأطراف الثلاثة لهذه المعادلة، ومقدار انضباطها..

١. أما (درجة الإدراك): فيمكن تحديدها بعض الشيء؛ لوجود حدّ نهائي للإدراك يمكن قياس نسبة ما دونه من درجات الإدراك إليه، وهو الإدراك القطعي؛ فإذا تعادل الإدراك في الجانبين أمكن التعبير عن درجة كلّ جانب بأنه (٥٠٪)، وإن تفاوتت درجة الإدراك في الطرفين كان الطرف الراجح فوق الـ(٥٠٪) ودون الـ(١٠٠٪) - على اختلاف مراتبه- ، وكان الطرف المرجوح دون الـ(٥٠٪) وفوق الصفر- على اختلاف المراتب أيضاً-.

وإنما قلنا: إن التحديد ممكن (بعض الشيء)؛ لأن الإدراك حالة نفسية؛ ومن ثَمَّ فمن الصعوبة بمكان تحديد مراتب الرجحان أو المرجوحية بدقة؛ بأن يميزَ الظانُّ بشيءٍ درجة ظنه ويحدّد أنها سبعون في المائة لا واحد وسبعون - مثلاً-.

نعم.. يمكن التحديد الدقيق إذا كانت

(١) وهذا نظير ما يذكر في المنطق؛ من أن صياغة الشكل الأول وفق شروط معينة تنتج نتيجة صحيحة لازمة لتوفر تلك الشروط. وأما إذا كانت المعلومات خاطئة فتكون النتيجة خاطئة، لكن خطأها لا يستند إلى عقم الشكل الأول وتخلّف إنتاجه للنتيجة الصحيحة، بل يستند إلى خطأ المعلومات، وأما النتيجة فهي لازمة لمقدماتها.

العناصر منضبطة- كما في موارد حسب الاحتمالات - ، فمثلاً: إذا كان في مائة كرة كرةٌ واحدة صفراء اللون، وخلطت هذه الكرات جيداً، فحينئذٍ إذا سحبنا كرة واحدة من هذه المائة سحباً عشوائياً، فاحتمال أن تكون هي الكرةَ الصفراء واحدٌ في المائة، وإذا سحبنا خمسين كرة فاحتمال أن تكون الكرة الصفراء من ضمنها خمسون في المائة.

٢. وأما (أهمية المدرك): فليس لها حدّ يمكن تعيينه؛ لعدم وجود درجة واضحة يمكن قياس أهمية المدرك في حدّ ذاته وفقها- كما يمكن قياس درجات الحرارة مثلاً- ، وعدم وجود نهاية تعرف درجة ما دون النهاية بالقياس إلى درجتها- كما هو الحال في درجة الإدراك-؛ إذ لا توجد نهاية محددة للضرر، فإنّ الضرر يمكن أن يزداد إلى ما لا نهاية له.

نعم.. يمكن أن يقال -على سبيل التقريب-: إن أول درجات المصلحة هو ما كان أزيد من درجة اللامصلحة بشعرة- كما يُقال في الأحكام الشرعية: إن أول درجات الاستحباب هو ما يزيد عن الإباحة بشعرة، وإن آخرها ما يقل عن الوجوب بشعرة-، ولكن ليس هناك تحديد فني لمقدار هذه الشعرة.

٣. وكذلك الحال بالنسبة لـ(درجة المؤونة): إذ ليس له حدّ يمكن تعيينه؛ لأنه لا يوجد للجهد والعناء النفسي والمادي في نفسه درجة مضبوطة، ولا لنهايته حدّ لا يتجاوزه.

نعم.. يمكن أن يقال: إن هذا المدرك يستدعي جهداً خفيفاً أو كثيراً، ولكن لا يمكن وضع رقم رياضي تعبيراً عن درجته- كما كان الحال في درجة الإدراك-.

فالنتيجة: أنه لا سبيل إلى تجسيد هذه المعادلة الثلاثية باللغة الرياضية على نحو منتج.

ويتفرّع على ذلك: اختلاف المساحات التي تجري فيها المعادلة في الوضوح والخفاء؛ ففي مساحة منها تكون نتيجة المعادلة واضحة؛ لكون الاحتمال معتداً به، والمحتمل خطيراً، والمؤونة خفيفة، ولكن قد يتشابه الأمر في مساحة أخرى، ويصعب على الإنسان استخلاص نتيجتها ومقتضاها إلّا بشيء من التأمّل الدقيق.

وسيأتي تفصيل الحال في النقاط الأخرى في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

هل الاعجاز يهدم القوانين العقلية المسلَّمة ؟

الشيخ جعفر السبحاني

إن قانون العليّة (اي: ارتباط كل معلول حادث بعلة) ممّا ارتكز عليه الذهنُ البشريُ وقبلَه العلمُ والفلسفة ولذلك فإننا نلاحظ: كلّما وقف الإنسانُ على ظاهرة مهما كانت. بحثَ عن علّتها فوراً فاذا رأى حيةً. مثلا. عرف بأن علتها الطبيعية هي أن تبيض حيّة ثم خروج حيّة من البيض بعد سلسلة من التفاعلات فكيف يمكن القبول بالمعاجز مع أنها لا تنشأ عن مثل هذه العلل ولا تمرُّ بمثل هذه المقدمات والمراحل والتفاعلات الطبيعيّة مثل انقلاب العصا إلى ثعبان أو نبوع الماء من الصخر من دون حفر أو تنقيب، أليس هذا هدماً أو تخصيصاً لذلك القانون العقليّ المسَلَّم العام؟

فإن الجواب على هذا السؤال هو ان مثل هذا السؤال لا يطرحه إلّا الَّذين يحصرُون العلل والعلاقات بين الاشياء في العلل والعلاقات المادية الطبيعية.

ولكن الحق هو أنَّ أيَّة ظاهرة مادية يمكن أن يكون لها نوعان من العلل:

١ ـ العلةُ العادية الّتي تخضع للتجربة.

٢ ـ العلةُ غير العادية الّتي لا يعرفها الناس ولم تكن متعارفة ولا تخضع للتجربة العلمية.

وهذا يعني أنه لا توجد أية ظاهرة في هذا العالم بدون علة، وتوضيحُ هذا أن اصل وجود الحية ونبوع الماء من الصخرة وتكلم الطفل ـ مثلا ـ أمرٌ ممكنٌ ولا يُعدّ من المحالات لأَنها لو كانت من المحالات لما تحقق وجودها أبداً، نعم إنها بحاجة إلى علة لكي تتحقق والعلة ـ سواء في المعاجز أو غيرها ـ يمكن أن تكون إحدى الامور التالية:

أ ـ العلة الطبيعية العادية:

وهي ما الفناها وأعتدنا عليها مثل ظهور شجرة من نواة بعد سلسلة من التفاعلات.

ب ـ العلة الطبيعية غير العادية وغير المعروفة:

وهـذا يعني أنه قد يكون لظاهرة معينة نوعان من العلل وطريقان للتحقق والوجود أحدهما معروف ومعلوم والآخر مجهول غير معلوم والانبياء بحكم اتصالهم بالعلم والقدرة الالهية يمكن أن يقفوا على هذا النوع مِنَ العلل ـ عن طريق الوحي ـ ويوجدوا الظاهرة.

ج ـ تأثير النفوس والارواح:

فانَّ بعض الظواهر يمكن أن تكون ناشئة من تأثير أرواح الأَنبياء ونفوسهم القوية كما نلاحظ ذلك في مجال المرتاضين الهنود الذين يبلغون درجة يستطيعون معها أن يقوموا بما يعجز عنه الأفـرادُ العاديُّون وذلـك بفضل الرياضات النفسية الّتي يخضعون لها، وهو ما يسمى باليوجا أحياناً وقد كتبت حوله كتب ودراسات.

وقد أشار إلى هذا جملةٌ من علماء الإسلام وفلاسفته منهم الفيلسوف الإسلامي الشهير صدر الدين الشيرازي حيث يقول: لا عجب أن يكون لبعض النفوس قوةٌ الهيةٌ تكون بقوتها كأنها نفسُ العالم فيطيعُها العنصرُ طاعة بدنها لها فكلّما ازدادت النفسُ ـ تجرداً وتشبّها بالمبادئ القصوى ازدادت قوةً وتأثيراً فيما دونها.

وإذا صـار مجـردُ التصوّر والتوهم سبباً لحدوث هذه التغيّرات في هيوليّ البدن لأجل علاقة طبيعيّة وتعلّق جبلّي لها إليه لكان ينبغي أن تؤثر في بدن الغير وفي هيوليّ العالم مثل هذا التأثير لأجل مزيد قوة شوقية واهتزاز علوي للنفس ومحبة الهية لها فيؤثر نفسه في إصلاحها وإهلاك ما يضرّها ويفسدها.

د ـ العللُ المجردة عن المادة:

فيمكن ان تكون للظواهر عللٌ مجردة عن المادة كالملائكة بأن تقوم الملائكة بأمر من الله سبحانه بتدمير قرية أو تقوم بمعجزة بعد طلب النبيّ منها ذلك، والملائكة مظاهرُ القدرة الالهية في الكون وهي التي تدبّر أُمور الكون بأمر الله تعالى كما يقول القرآن الكريم: ﴿**فالمُدَبِّراتِ أَمْـراً**﴾ وهي بالتالي جنود الله في السماوات والأَرض ولله جُنودُ السَّماواتِ.

فلابد من ارجاع الظواهر الطبيعية الواقعة إلى أحد هذه العوامل الاربعة ولا يمكن أبداً حصر العلة في العلة الطبيعية العادية المعروفة كما تصور منكرو الاعجاز بل يمكن أن تكون كلُّ واحدة من هذه العلل سبباً لحدوث الظاهرة الطبيعية فاذا لم نشاهد علة ظاهرة من الظواهر لم يجز لنا أن نُبادر ـ فوراً ـ إلى تصوّر أنها ناشئةٌ من غير علة.

ويجب ارجاع معاجز الأَنبياء إلى إحدى الطرق الاخيرة والقول بأن الأنبياء استخدموا ـ في ايقاع الخوارق والمعاجز ـ إما العلل المادية غير المعروفة للعُرف والعلم، وإما نفوسهم القوية الّتي حصلت لهم بفعل الجهاد الرُّوحيّ العظيم والرياضات النفسية الشديدة فهي علة تلك الأفعال الخارقة للعادة.

كما ويمكن ان تكون جميع تلك الافعال العجيبة ناشئة عن جملة من العلل والعوامل الغيبية المدبِّرة للكون بأمر الله ومشيئته، إذن فلا تتحقق المعجزة بدون علة كما يُتصوَّر ولا يهدم الاعجاز القوانينَ العقلية المسلّمة.

و ـ إن صفحات التاريخ مليئة بذكر من ادّعوا النبوّة خداعاً وكذباً واستثماراً للناس مستغلّين سذاجة الاغلبية الساحقة من جانب وانجذابهم الفطري إلى قضايا التوحيد والايمان من جانب آخر.

فكيف وبماذا يُميَّز النبيّ الصادق عن مدّعي النبوة؟

إن المعجزة هي إحدى الطرق التي تدل على صحة إدعاء النبوة، وإنما تدلُّ المعجزةُ على صدق ادّعاء النبوّة وارتباط النبيّ بالمقام الربوبي، لأن الله الحكيم لا يمكن أن يزوّدَ الكاذب في دعوى النبوة بالمعجزة؛ لأن في تزويد الكاذب تغريراً للناس الذين يعتبرون العمل الخارق دليلا على ارتباط الآتي بها بالمقام الربوبيّ.

وإلى هذا أشار الامامُ جعفر الصادق عليه السلام بقوله في جواب من سأله عن علة اعطاء الله المعجزة لأنبيائه ورسله: لِيَكُونَ دَليلا عَلى صِدق من أتى به والمعجزة علامةٌ لله لا يعطيها إلا انبياءه وَرسلَه وحجَجَه ليعرفَ به صدق الصادق مِنْ كذب الكاذِب.

بماذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟

لا شَكَّ في أنَّ السَّحَرة والمرتاضين يقومون بأَفعال خارقة للعادة مثيرة للعجب والدهشة، حتّى ان البسطاء ربما يذهب بهم الاندهاش إلى

حدّ الاعتقاد بأن القائمين بهذه الخوارق مزوَّدون بقوى غامضة غيبية لا يتوصلُ اليها البشر.

فكيف يمكن اذن أن نُمَيّز بَينَ المعاجز وتلك الخوارق والعجائب؟

إن التمييز بين هذه وتلك يمكن أن يتم إذا لاحظنا العلائم الفارقة بين المعجزة وغير المعجزة من الاعمال الخارقة للعادة، كاعمال السحرة والمرتاضين (اصحاب اليوجا) ونظائرهم.

وهذه الفوارق هي عبارة عن الامور التالية:

ـ إن القوة الغامضة الحاصلة لدى المرتاضين والسحرة ناشئة بصورة مباشرة من التعلم والتحصيل عند اساتذة تلك العلوم، وذلك طيلة سنين عديدة من الزمان. بينما لا يرتبط الاعجاز بالتعلّم والتلمّذ أبداً، والتاريخ خير شاهد على هذا الكلام.

ـ إن أَفعال السَّحرة والمرتاضين العجيبة قابلة للمعارضة والمقابلة بأمثالها، وربما بما هو اقوى منها، على عكس الإعجاز، فالمعجزات غير قابلة لأن تعارض وتقابل بمثلها ابداً.

ـ المرتاضون والسَّحرة لا يَتحدُّون أحداً بأفعالهم ولا يطلبُون معارضة أحد لَهُمْ وإلا لافْتَضَحُوا وكبتوا، بينما يتحدى الانبياء والرسل بمعاجزهم جميع الناس ويدعونهم لمعارضتهم والاتيان بمثل معاجزهم.. وذلك لأنَّ أفعال السَّحرة الخارقة مهما كانت فانها تستند إلى الطاقة البشرية المحدودة، ولا تتجاوزها، بينما يعتمد الانبياء والرسل العنصر الغيبي، والإرادة الألهية.

ـ إن اصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائماً دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية وغايات الهية سامية وبالتالي هداية المجتمع البشري إلى المبدأ والمعاد ، والأخلاق الفاضلة، فيما لا يهدفُ المرتاضون والسحَرة إلا تحقيق مآرب دنيوية حقيرة، ونيل مكاسب مادية رخيصة.

[سيد المرسلين]

أوراق علمية

العقل في نظرة الإسلام

الشيخ محمد أمين زين الدين

وللعقل في دين الإسلام منزلة سامية لن تبلغها أية موهبة اخرىٰ من مواهب الانسان ، فالعقل هو المفزع في تمييز الخير والشر وتبيين الحق من الباطل، والعقل هو سرّ التفاضل في درجات الرجال ، فهو الملاك في استيجاب المنزلة والكرامة في الدنيا وهو المدار في إستحقاق المثوبة أو العقوبة في الأخرىٰ .

وقد قال الرسول ﷺ: «**اذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فإنما يجازى بعقله**»[1].

وقال ﷺ: «**ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل واقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول امته، وما يضمر النبي في نفسه افضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى وما يتذكر إلا أولو الألباب**»[2].

إن الله غني متعال لا ينظر الى العمل لكثرة ولا يرتضيه لتنسيق، بل ينظر الى ما يوجبه ذلك العمل لنفس العامل من زكاة وما يتركه في قلبه من إشراق، وانما يدرك ذلك بالاخلاص، وانما يدرك ذلك بالمعرفة الكاملة الواعية، وانما يدرك ذلك بالعقل اليقظ المستنير الذي لم يقسم الله للعباد شيئاً أفضل منه.

والألباء من الناس المتبعون رشد عقولهم السائرون على هداها المميزون بين ما يحسن من الأمور ومن الاعمال والصفات فيأخذون به. وما يقبح منها فيجتنبونه ويأنفون منه، فاذا تعارضت الاقوال لديهم فحصوها فحص النقيد الخبير فأخذوا بأوفاها هدى واكثرها سدادا، هؤلاء هم العباد الحريون بتوفيق الله وهداه الجديرون منه بالبشرى في الحياة الدنيا والغبطة والنعيم في الدار الآخرة. ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.[3]

وهم الحقيقون بصفة الانسانية في نسقها الأعلى، وهم الاحياء بمعنى الحياة المجدي،

﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾.[4]

أما الآخرون الذين يرتكسون في حمأة الجهل الى آذانهم وينتكسون في بؤرته على رؤوسهم، ولا يستجيبون لدعوة الحق، ولا يصيحون لنصيح العقل، أمّا هؤلاء فليسوا من الانسانية في شيء وإن أشبهوا الأناسين في السمات وألحقوا بهم في العداد، ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾.[5]

والعجماوات إنما خلقت لتأكل وتشرب وتنمو وتلد ثم لتُسرج وتُركب أو تذبح وتؤكل،

(١) الكافي: ح٩.
(٢) الكافي: ح١١.
(٣) الزمر ١٧ ـ ١٨.
(٤) الأنعام، الآية ١٢٢.
(٥) الأنفال، الآية ٢٢.

وحواسها وغرائزها المودعة فيها تدرجها في هذا الطريق وتوفي بها على الغاية، اما ابن آدم فقد خلق لتكاليف اخرى في هذه الحياة.

والـدواب البشرية تـترك سبيلها الـذي طرّقته لها الطبيعة واعدتها له الحكمة، وتهرع مع البهائم زاعمة أن سبيلها هو الرشيد. نعم وتكب تهتدي بهديها وتـأتي مثل اعمالها وقد عرف الاستعمار ما تنتظر هذه المخلوقات فأعد البرذعة وشحذ السكين.

إن الحواس في ابن آدم نوافذ يتصل منها نور الحياة بنور العقل وترتبط حركات الكون بحركات الفكر، فاذا لم يؤد الانسان بحواسه هذه الوظيفة فقد سد على عقله منافذ النور وعطل حواسه عن الانتفاع.

وما كان الانسان ليملك أن يوصد هذه الابـواب لو ان عقله كان حرّ الحركة منطلق النشاط، إن تجميد الحركة فيها يعني تجميد حركة الفكر واطفاء شعلته وإخماد نشاطه، ثم لا معدى للخابط من أن يرد نهايته المحتومة وأن يجني ثمرته المعلومة.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1] لجهنم ... للظاهرة العظمى من غضب الله ... للعاقبة السوأى التي لا عاقبة أسـوأ منها .... لهذه النهاية الكالحة المرعبة المخيفة خلق هذا الهباء من الجن والانـس. ولم تكن هذه عقباهم لو أنهم أحسنوا الافادة من هبات الله التي آتاهم، فاعملوا البصيرة وانتهجوا الحق.

وعمى البصيرة أشد وأنكى وأعظم معرة من عمى البصر. **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**[2].

وما ضرّ فاقد البصر أن لا يشهد الأضواء والألوان اذا كانت له بصيرة نفاذة على الحقائق، جوالة في المعاني، غواصة الى التخوم. وما ضرّ فاقد البصر أن لا يشهد الأضواء والألوان إذا استطاع بفطنته أن يحلل طيف كل ضوء ويحصي أخلاط كل لون، ويستجلي خصائص كل مرتبة من الاضواء ومميزات كل فصيلة من الألوان، وما ضرّه أن يكون كذلك إذا كان يسدد القول فلا يخطئ ويقيم البرهان فلا يدحض ويؤسس الفكرة فلا تنقض، وهذا الانسان ليس بأعمى وإن كان فاقد البصر، فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

والعقل إنما يتبوأ هذه المكانة في دين الإسلام

(١) الأعراف، الآية ٧٩.
(٢) الحج، الآية ٨.

اذا احتفظ بشؤونه بما هو عقل، ونهض بمهمته بما هو دليل مأمون، فلم تزغ به اهواء النفس، ولم تجنح به ميول الغريزة، ولم يتخبط في معارفه واحكامه على غير علم ولا رشد، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.(١)

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.(٢)

والإسلام يأنف للعقل أن يستبهظ تكاليف اليقين فيستريح الى الظنون: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(٣).

ويأنف للعقل أن يصده إلف العادات أو ارث الاسلاف عن النظر الحق والفكر المستقيم، ويندد بأقوام تراكمت على بصائرهم غشاوات كثيفة من نتائج الجمود على مواريث اسلافهم وقديم عاداتهم، فمنعتهم أن يبصروا طريقهم أو يبحثوا عن اعلامه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٣).

ضعة بالعقل أن يستأثر به هوى أو تجمح به غريزة، وهبوط بمنزلته أن يخادعه وهم أو تصرِّفه عادة أو يستبد به تقليد، ومعرة شديدة ان ينقلب جهلاً أعمى ينكر ما يحس، أو صدى فارغا يردد ما يسمع، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٤).

كل هذه مهاوٍ ومزالق على العقل أن يتوقاها اذا أراد أن يسمو، وعلى العاقل أن يحترس من التردي فيها اذا طمع أن يرتقي، وان يبلغ الغاية التي من اجلها خلق، ومن اجلها بدأت الحياة.

ركائز العقل في حكمه

وركيزة العقل الاولى في حكمه على الحوادث واستنتاجه للحقائق هي الضرورة، هي القضايا التي يضطر الانسان بطبيعته إلى الحكم بصدقها دون حاجة الى مزيد فكر ودون حاجة الى طلب دليل. وسنده الثاني هو البرهان اليقيني القويم، البرهان الذي يقوم على الضرورة وينتهي اليها. ومتى اعتمد العقل في أحكامه على هاتين الدعامتين استحال عليه أن تضطرب له قدم أو تخف به كفه.

ومن الناس من يحصر وسائل العقل الى المعرفة بالحس والتجربة فلا وسيلة له الى تصور المفردات إلا الحس، ولا سبيل له الى العلم بأحكامها وأوصافها سوى التجربة.

(١) القصص، الآية ٥٠.
(٢) يونس، الآية ٣٦.
(٣) البقرة، الآية ١٧٠.
(٤) البقرة، الآية ١٧١.

وهكذا انحصرت المعارف البشرية لديهم ـ لانحصار أسبابها ـ بالمادة وما يتبع المادة. وهكذا راموا أن يجدوا تفسيراً مادياً محسوساً لكل مفهوم من المفاهيم ولكل حكم من الأحكام. وانجر المتطرفون منهم فأنكروا وجود ما سوى المادة لأنه لا يدرك بالحس ولا تناله التجربة.

وسواء أكان حصر وسائل المعرفة هو الذي أدى بهم الى انكار غير المادة أم كان إنكار ما وراء المادة هو الذي انتهى بهم الى الحصر، فأنه غلو لا مبرر له، وما أكثر المعاني التي يتصورها الذهن بعيداً عن الحس، وما أكثر المعاني التي يولدها مما يدركه بالحس، وما اوفر القضايا التي يحكم عليها بالثبوت أو بالنفي ولا تنالها التجربة.

ومعاني ما وراء المادة لا تنالها الحواس وهؤلاء أنفسهم لا يجحدون تصورها في الذهن وانما ينكرون تحققها في الوجود، ثم هم يحكمون عليها بأحكام كثيرة متنوعة لا تبلغها التجربة، وقد تحدثنا عن ذلك اكثر من مرة وللموضوع كتب اخرى تستوفي الحديث عن هذه الاهواء.

القضايا التي يضطر الانسان بطبيعته الى الحكم بصدقها دون حاجة الى فكر ودون حاجة الى دليل، والبرهان اليقيني القائم على هذه الضروريات والمنتهي اليها، هاتان هما ركيزتا العقل في حكمه على الحوادث واستنتاجه للحقائق.

على ان المعلومات الاولية التي يمتلكها العقل، والبرهان الذي يستند اليه في المعرفة النظرية لا يملكان أن يبديا للعقل كل مستور وأن ينيرا له كل سبيل، فمن الحقائق ما يستدق على الفطرة ولا تناله الضرورة، واذا خفي على الفطرة والضرورة فقد خفي على البرهان، ومن الحقائق ما يتعارض فيه الوجه ويلتبس فيه الحكم، ومن الحقائق ما يتعرفه العقل بوجه غير صحيح. فيحكم عليه بحكم غير مطابق. فالعقل مفتقر اذن الى ركيزة ثالثة تبين له ما تعي عنه وسائله، وما ترتبك فيه موازينه، وهذه الركيزة هي وحي الله خالق الفطرة وبارئ العقل الى انبيائه المصطفين الذين تصدقهم الفطرة ويؤمن بهم العقل:

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[1].

[العقل في نظرة الإسلام]

حكمة الله سبحانه وتعالى

في تفضيل الشهور الثلاثة

السيد محمد باقر السيستاني

لماذا على الإنسان المؤمن أن يستثمر هذه الشهور الثلاثة، ويشدّ على نفسه بعض الشيء فيها؟

ولماذا اعتنى الله سبحانه وتعالى بتخصيص شهر مميّز بين الشهور، وهو شهر رمضان؟

ولماذا خصّ الله سبحانه وتعالى ليلة القدر كليلة حساب لما سبق وليلة تأمل فيما يأتي ورتب المقادير الإلهية في هذه الليلة ترتيباً اقتضائياً؟

والجواب عن ذلك يتضح من خلال بيان النقاط التالية:

١- الحكمة العامة في التفضيل بين الأوقات:

لقد فاضل الله سبحانه وتعالى بحسب حكمته في التشريع بين الشهور كما فاضل بين الأيّام، وكما فاضل بين الساعات لأجل أن تكون هذه الفضيلة منبهات للإنسان على مزيد من الجد والتبصر والاستعداد للحياة الأخرى.

فلو كان الإنسان مدعواً إلى عمل الخير في جميع الأوقات على وجه واحد لم يكن له حافز على استثمار وقت معيّن بخصوصه، ولأصابه الملل والسأم ولم تتأكّد الدواعي في نفسه، ولكن عندما تختلف الأوقات في الفضيلة فيكون في اليوم والليلة أوقات فاضلة كأوّل الغروب وأوّل الزوال وأوّل الفجر وأيضاً وقت السحر، هذا يسمح للإنسان بأن يسترسل في عموم الأوقات ويهتم بالإقبال على الله تعالى والتذكر والعمل الصالح في الوقت المميز.

وكذلك لو كانت الأيّام في الأسبوع والشهر على مثال واحد لربما ابتلي الإنسان بالاسترسال في جميعها، ولكنّه عندما ميز يوم الجمعة يوما واحدا من الأسبوع بين الأيّام بليلتها جعل ذلك مزيدا من التحفيز للإنسان على أن يعتني بمزيد من التبصر والمعرفة والعمل الصالح والتزود في هذا اليوم والليلة.

وكذلك جُعل في كل شهر أيّام ثلاثة وُصّيَ الإنسان بالصيام فيها، فجُعل في كل شهر على وجه لأول الشهر ونصفه وآخره تميّزاً بالنسبة إلى سائر أيّام الشهر، وجُعل في بعض الشهور بشكل خاص أيّامٌ مناسبة لتكون محفزةً للإنسان على الفضيلة، مثل العشر الأُوَل من ذي الحجّة.

وعليه فهذه حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعل موعداً يوميّاً وموعداً أسبوعيّاً ومواعيد شهريّة ومواعيد سنويّة للتذكّر والتبصر والتزوّد والتأمّل ليكون ذلك معيناً للإنسان وفق السُّنن التي خلقها الله سبحانه وتعالى عليها.

٢- الحكمة في جعل المواقيت السنوية الفضلى:

إذن جعل المواعيد السنوية للذكر والعبادة والتهذيب والتزكية بشكل عام إنما هو استثمار لهذه الوحدة الزمنية الأطول (السنة) بنحو مناسب للنمو المعنوي والروحي واستثمار الحياة.

وهذا نظير ما نجده من العقلاء في أعمالهم من تجارتهم وغيرها من التقدير السنوي لأحوالهم؛ لأن السنة الواحدة باعتبار اشتمالها على الفصول المختلفة الأربعة التي تختلف فيها الأجواء، وتختلف فيها النِعَم من أحوال الحيوانات والنباتات، وتختلف فيها المناسبات

في طول السنة، فلذلك -مثلاً- للتاجر أن يحسب مقدار ربحه في هذه السنة وينظر في تخطيطه التجاري للسنة المقبلة.

وكذلك جرت سنن العقلاء على أن يكون التعليم سنويّاً، وكثير من الأعمال كالتوظيف يكون سنويّاً، وعموماً فالسنة لها دلالة في وجدان الإنسان وفي تكوينه النفسي، باعتبارها وحدة زمنيّة طويلة متكاملة تشتمل على الفصول الأربعة التي يكون من شأنها أن تؤثر في أحوال الإنسان.

٣- الحكمة من تخصيص شهر سنوي (رمضان) للقرب والتزكية:

وفي هذا السياق اعتنى الله سبحانه وتعالى بتخصيص شهر مميّز بين الشهور في السنة، وهو شهر رمضان، وقد جعله بمقدار شهر من الشهور الاثني عشر في السنة؛ لأن جزءا من حاجة الإنسان إلى التبصر والتزود والتزكية والتهذيب يحتاج أحيانا إلى دورة متصلة، ولا يكفي المساعي المتفرقة في اليوم أو في الأسبوع، فيحتاج الإنسان أحيانا إلى أن يشدّ نفسه شدّةً واحدةً لمدة ثلاثين يوما، فيهتم فيها بمزيد خصوصية في التهذيب والتزكية، وهذا شهر سنوي ميّزه الله سبحانه وتعالى بين الأشهر، ووعد فيه بمزيد من البركات والتوفيقات والخيرات لمن اعتنى بهذا الشهر وسعى إلى التزود والتبصر فيها.

وإن هذا نظير ما ورد في بعض الأحاديث: «**مَن أخلص لله أربعين صباحا أنار الله قلبه وبث فيه نور الحكمة**»، ولكن في صيام شهر رمضان يتمثل الاهتمام بثلاثين يوما، وهو الشهر أيضا، وهو من الوحدات المؤثرة في النفس الإنسانية للغاية.

٤- الحكمة في تخصيص ليلة في السنة (ليلة القدر) بالفضل والتميّز:

ثمّ خصّ الله سبحانه في ضمن شهر رمضان الفضيل والمميز ليلة من الليالي في السنة للمحاسبة التامة لما سبق من الإنسان في تلك السنة ويخطط لما يستقبله الإنسان في السنة المقبلة.

فلذلك جعل الله سبحانه وتعالى ليلة القدر فكانت حسابا لما سبق وليلة تأمل فيما يأتي ورتب المقادير الإلهية في هذه الليلة ترتيباً اقتضائياً.

٥- الحكمة في تخصيص أشهر ثلاثة من السنة بالفضل (رجب وشعبان ورمضان):

ثمّ أتمّ الله سبحانه وتعالى من خلال تشريعاته ومن خلال سنن نبيه صلى الله عليه وآله ذلك بشهرين آخرين وهما شهرا رجب وشعبان ـ

لمن أراد مزيدا من التزود، فيكونان مع شهر رمضان فصلا كاملا من السنة، فأشبه هذا الفصل المعنوي ربيع السنة من حيث الجوانب المعنوية من حيث نزول البركات ومن حيث بذل مزيد من العناية.

فكان على الإنسان المؤمن أن يبتدئ بنوع من التدرّج في ذلك، فشهر رجب يكون الخطوة الأولى، ثم في شهر شعبان يكون هناك مزيد من الاهتمام والفضيلة، وفي شهر رمضان يبلغ الغاية، فكأن هذين الشهرين الشريفين ممهّدان تدريجا لشهر رمضان.

٦- ضرورة انتباه المؤمن لحكمة الله في تشريعاته لحياة الإيمان:

فعلى الإنسان المؤمن أن يلتفت إلى حكمة الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة وتشريعاته التي أراد فيها للإنسان أن يتبصر ويتزود من المعرفة والعمل الصالح وينتفع برأس ماله، وهو عمره الذي قدر له في هذه الحياة في أن ينال درجة أعلى..

فلكل من الناس درجة عند الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة فيما بعد هذه الحياة بحسب خصاله وبحسب طيبته وإيمانه وخلقه وبحسب روح الذكر والتقدير لله، وروح حب الخير للنّاس وروح محاسبة النفس والالتفات إلى العيوب وروح الكرم والجود وروح المواساة.

وجميع خصال الإنسان وأعماله الصالحة وبناه النفسية تؤخذ بنظر الاعتبار بالدرجة التي يتحلى بها بعد هذه الحياة.

فمن النّاس من يفد على الله سبحانه ويلقاه محتفّاً بكرامته وكرامة أوليائه، ومنهم – نعوذ بالله – مَن يلقى الله تعالى ويكون أشبه بالإنسان الهارب من العدالة عندما يُقبَض عليه.

أوراق تاريخية

نظرة على التاريخ

السيد جعفر مرتضى العاملي

مهمة التاريخ:

أما مهمة التاريخ، فهي أن يعكس بدقة وأمانة حياة الأمة في الماضي، وما مرت به من أوضاع وأحوال، وما تعرضت له من هزات فكرية، وأزمات اقتصادية واجتماعية وغيرها.

وهذا يؤكد لنا أهمية التاريخ، ويبرز مدى تأثيره في الحياة، ويعرفنا سر اهتمام الأمم على اختلافها به تدويناً، ودرساً، وبحثاً، وتمحيصاً، وتعليلاً. فهي تريد أن تتعرف من خلال ذلك على بعض الملامح الخفية لواقعها الذي تعيشه.

ولتستفيد منه كلبنة قوية وصلبة لمستقبلها الذي تقدم عليه، ولتكتشف منه أيضاً بعضاً من عوامل رقيها وانحطاطها، ليكون ذلك معيناً لها على بناء نفسها بناء قوياً وسليماً، والإعداد لمستقبلها على أسس متينة وقوية وراسخة.

ونحن هل نملك تاريخاً؟

ونحن أمة تريد أن تحيا الحياة بكل قوتها وحيويتها، وفاعليتها، ولكننا في الوقت الذي نملك فيه أغنى تاريخ عرفته أمة، لا نملك من كتب التاريخ والتراث ما نستطيع أن نعوِّل عليه في إعطاء صورة كاملة وشاملة ودقيقة عن كل ما سلف من أحداث؛ لأن أكثر ما كُتِبَ منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، ويهيمن عليه التعصب والهوى المذهبي، ويسير في اتجاه التزلف للحكام.

وأقصد بـ «النظرة الضيقة» عملية ملاحظة الحدث منفصلاً عن جذوره وأسبابه، ثم عن نتائجه وآثاره.

-وبكلمة أوضح وأصرح:

إن ما لدينا هو ـ في الأكثر ـ تاريخ الحكام والسلاطين، وحتى تاريخ الحكام هذا، فإنه قد جاء مشوَّهاً وممسوخاً، ولا يستطيع أن يعكس بأمانة وحَيَدةٍ الصورة الحقيقية لحياتهم ولتصرفاتهم ومواقفهم؛ لأن المؤرِّخ كان لا يسجل إلا ما يتوافق مع هوى الحاكم، وينسجم مع ميوله، ويخدم مصالحه، مهما كان ذلك مخالفاً للواقع، ولما يعتقده المؤرخ نفسه ويميل إليه.

ومن هنا، فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المؤرِّخ يهتم بأمور تافهة وحقيرة، فيسهب القول في وصف مجلس شراب، أو منادمة لأمير أو حاكم، أو يختلق أحداثاً، أو شخصيات لا وجود لها، ثم يُهمل أحداثاً خطيرة، أو يتجاهل شخصيات لها مكانتها وأثرها العميق في التاريخ، وفي الأمة، أو يشوه أموراً صدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره، أو يحيطها ـ لسبب أو لآخر ـ بالكتمان، ويثير حولها هالة من الإبهام والغموض.

- دراسة التاريخ:

إذن، فلا بد لمن يريد دراسة التاريخ والاستفادة من الكتب التاريخية والتراثية، من أن يقرأها بحذر ووعي، وبدقة وتأمل، حتى لا يقع في فخ التضليل والتجهيل.

فلا بد له من أن يفتح عينيه وقلبه على كل كلمة تمر به، ويحاول قدر المستطاع أن يستنطقها، ويستخلص منها ما ينسجم مع الواقع، مما تؤيده الدلائل والشواهد المتضافرة، ويرفض أو يتوقف في كل ما تلاعبت به الأهواء، وأثرت عليه الميول والعصبيات.

وليس ذلك بالأمر اليسير والسهل، ولاسيما فيما يرتبط بتاريخ الإسلام الأول الذي هبت عليه رياح الأهواء الرخيصة والعصبيات الظالمة، وعبثت به أيدي الحاقدين، وابتزت منه رواءه وصفاءه إلى حد كبير وخطير.

[الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله]

خبر غدير خم

السيد محسن الامين

لما قضى رسول الله ﷺ مناسك الحج] قفل راجعاً إلى المدينة فوصل إلى الموضع المعروف بغدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة وهو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ قال المفيد في الارشاد: وليس بموضع إذ ذاك يصلح للنزول لعدم الماء فيه والمرعى فنزل به ونزل المسلمون معه، قال: وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة في الأمة من بعده . وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت فأخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه وعلم الله عز وجل أنه ان تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلدانهم وباديهم فأراد الله أن يجمعهم لسماع النص عليه وتأكيد الحجة عليهم فيه فأنزل الله تعالى عليه : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [المائدة: ٦٧]يعني في استخلاف علي والنص بالإمامة عليه . ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ فأكد الفرض عليه بذلك وخوفهم من تأخير الأمر فيه وضمن له العصمة ومنع الناس منه فنزل بذلك المكان ونزل المسلمون حوله وكان يوماً قائظاً شديد الحر فأمر بدوحات هناك فقم ما تحتها وأمر بجمع الرحال ووضع بعضها فوق بعض ثم أمر مناديه فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا من رحالهم إليه وإن أكثرهم ليلف رداءه على قدميه من شدة الحر فلما اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتى صار في ذروتها ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فرقى معه حتى قام عن يمينه ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ووعظ فأبلغ في الموعظة ونعى إلى الأمة نفسه وقال: «**إني قد دعيت ويوشك أن أجيب وقد حان مني خفوق من بين أظهركم وإني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»، ثم نادى بأعلى صوته: «**أ لست أولى بكم منكم بأنفسكم**»، قالوا: اللهم بلى فقال لهم على النسق وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين عليه السلام فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما: «**فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**»؛ ثم نزل وكان وقت الظهيرة فصلى ركعتين ثم زالت الشمس فأذن مؤذنه لصلاة الظهر فصلى بهم الظهر وجلس في خيمته وأمر علياً أن يجلس في خيمة له بازائه وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنوه بالمقام ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين ففعل الناس ذلك كلهم وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممن معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن وكان فيمن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطاب وأظهر له من المسرة به وقال فيما قال: بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة..

[أعيان الشيعة]

مشرق النور

الشيخ باقر شريف القرشي

قبل الحديث عن ولادة
المصلح العظيم الإمام المنتظر
عليه السلام أمل الإنسانية
وزعيمها نعرض - بإيجاز -
إلى الأصول الكريمة التي
تفرع منها هذا النور الذي
سيضيء جميع آفاق الكون
ويبدد ظلمات الجهل
ويقضي على عناصر
البغي والشر والفساد في
الأرض وفيما يلي ذلك:

الأب:

أما أبو الإمام المنتظر عليه السلام فهو الإمام الحادي عشر من أئمة الهدى عليهم السلام الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي هو من مصادر الفكر والوعي في دنيا الإسلام ومن سادات المتقين والمنيبين إلى الله تعالى وهو - بإجماع المؤرخين - أعظم شخصية إسلامية فذة في عصره ولقد كان الزعيم المطلق للجبهة المعارضة والمعادية للحكم العباسي الذي بني على الظلم والجور وتنكر لحقوق الناس وقد تعرض الإمام للسجن والاضطهاد وفرضت عليه السلطة الإقامة الجبرية في (سامراء) ومنعت شيعته منعا باتا من الاتصال به..

الأم:

أما أم الإمام المنتظر عليه السلام فيرجع نسبها إلى أعظم شخصية في الروم - حسبما صرح به بعض الرواة - فهي بنت (يشوع) الذي ينتهي نسبه إلى قيصر ملك الروم كما أن أمها ينتهي نسبها إلى شمعون الذي هو أحد أوصياء السيد المسيح ومن حواريه[1].

وكانت هذه السيدة الزكية من سيدات نساء المسلمين في عفتها وإيمانها وطهارتها ويكفيها سمواً وفخراً أنها كانت وعاء لأعظم مصلح اجتماعي في التاريخ بعد أجداده العظام.

وكانت تقابل في بيت زوجها الإمام الحسن عليه السلام بمنتهى الحفاوة والتكريم وذلك لما تتمتع به من سمو الذات ومحاسن الصفات كما كانت السيدة الجليلة عمة الإمام تجلها وتعظمها فقد أحاطها الإمام علما بأن الإمام المنتظر سيكون منها .

اسمها الشريف:

ونقل الرواة أسماء كريمة لهذه السيدة الزكية المعظمة كانت تسمى بها وهي:

(١ - سوسن ، ٢ - ريحانة ، ٣ - نرجس،

٤ - صقيل ، ٥ - خمط) وإنما سميت بهذا الاسم لأنها قد اعتراها النور والجلاء بسبب حملها بالإمام عليه السلام[2].

الثناء عليها:

وأثرت عن أئمة الهدى عليهم السلام كوكبة من الأحاديث في الثناء على هذه السيدة الزكية والإشادة بها ومن بينها هذه الأخبار:

١ - خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد انتهائه من حرب الخوارج في (النهروان) وقد أدلى في خطابه ببعض الملاحم وعرض عليه السلام موضوع خروج الإمام المهدي عليه السلام وقد أثنى على السيدة الكريمة أمه قال: «**يا بن خيرة الإماء، متى تنتظر؟ أبشر بنصر قريب من رب رحيم**»[3].

٢ - روى أبو بصير قال: قلت لأبي عبد الله:

يا بن رسول الله، من القائم منكم أهل البيت؟

(١) بحار الأنوار : ج١٣ / ص ٥.

(٢) مرآة الزمان.

(٣)ينابيع المودة.

فقال: «**يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى ذلك ابن سيدة الإماء يغيب غيبة يرتاب فيه المبطلون ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها**»[1].

٣ – روى محمد بن عصام بسنده عن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر أو الإمام أبي عبد الله عليهما السلام أنه قال: «**بالقائم علامتان: شامة في رأسه وشامة بين كتفيه مثل ورقة الآس ابن سبية وابن خيرة الإماء**»[2].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث قد أثرت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تشيد بمكانة هذه السيدة الكريمة ولا يضر بسمو منزلتها أنها أمة فقد هدم الإسلام الحواجز بين البشر واعتبر التمايز بالتقوى وطاعة الله تعالى لا بغيرها.

مشرق النور:

وأشرقت سماء الدنيا بالوليد العظيم والمصلح الأكبر الذي يعيد للإسلام بهجته ونعمته على الناس وينقذ الإنسان من ظلمات الجور والطغيان وكان من عظيم ألطاف الله عليه وعنايته به أن أخفى حمله وولادته كما أخفى ولادة نبيه موسى بن عمران، فقد روى المؤرخون أن الإمام الزكي الحسن العسكري عليه السلام دعا عمته السيدة الجليلة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام وهي من العلويات العابدات التي تضارع جدتها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في عفتها وطهارتها فلما مثلت عنده قابلها الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم وقال لها: «**يا عمة اجعلي الليلة إفطارك عندي، فإن الله عز وجل سيسرك بوليه وحجته على خلقه، خليفتي من بعدي...**».

وغمرت السيدة حكيمة موجات من الفرح والسرور والتفتت إلى الإمام قائلة: «جعلت فداك يا سيدي الخلف ممن؟...».

فقال لها الإمام: « **من سوسن...**»[3].

ونظرت السيدة حكيمة إلى سوسن فلم تر عليها أثرا للحمل فقالت للإمام «**إنها غير حامل**»، فتبسم عليه السلام وقال لها:

«**إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل فإن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى**»[4] وقامت السيدة حكيمة من عند الإمام فلما حان وقت صلاة المغرب والعشاء أدت الصلاتين ثم تناولت الإفطار مع السيدة سوسن، وبعد ذلك عمدت إلى فراشها فنامت، ثم استيقظت ونظرت إلى سوسن فلم تر عليها أثر الولادة ولما حل الهزيع الأخير من الليل، نهضت فأدت صلاة الليل، وحينما بلغت الركعة الأخيرة وهي صلاة الوتر، وثبت السيدة سوسن وهي فزعة فأدت صلاة الليل، وبعد الفراغ منها

(١) كمال الدين: ص٣٤٥.
(٢) غيبة النعماني:ص٢٢٤.
(٣) بحار الأنوار : ج١٣ / ص ٥.
(٤) بحار الأنوار : ج١٣ / ص ١٠.

أحست بالطلق، وبادرت نحوها السيدة حكيمة قائلة: «هل تحسين شيئاً؟».

فأجابتها بفزع واضطراب: «إني لأجد أمرا شديدا..».

وقابلتها السيدة حكيمة بعطف وحنان قائلة: «لا خوف عليك إن شاء الله..».

ولم يمض قليل من الوقت حتى ولدت سوسن وليدها العظيم، الذي سيطهر الأرض من رجس الطغاة وجور المستبدين، ويقيم حكم الله في الأرض.

وفرح الإمام الحسن الزكي كأشد ما يكون الفرح بوليده المبارك، وجعل يرد مقالة الظالمين من حكام بني العباس الذين زعموا أنهم سيقتلونه ويحرمونه من النسل، قائلا: «**زعم الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة الله...**»[1].

مراسيم الولادة:

وحملت السيدة حكيمة الوليد العظيم إلى أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام فاستقبله بمزيد من الابتهاج والسرور، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى فكان أول صوت يخترق سمعه: «**الله أكبر**»، «**لا إله إلا الله**».

لقد غذاه بهذه الكلمات التي هي سر الوجود وأنشودة الأنبياء، وقد ملأت قلبه، وسرت في عواطفه ومشاعره، ونطق الوليد كما نطق قبله عيسى بن مريم نطق عليه السلام بالآية الكريمة: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾.

لقد ولد ولي الله وحجته على عباده بهذه الصورة من الخفاء والكتمان خوفا عليه من السلطة العاتية، التي كانت تراقبه كأشد ما تكون المراقبة لتقضي عليه.

وتناولت السيدة حكيمة الوليد المبارك فقبلته وقالت: «شممت منه رائحة طيبة ما شممت قط أطيب منها»، وأخذه الإمام من يدها ثانية وقال:

«**أستودعك الذي استودع أم موسى، كن في دعة الله وستره وكنفه، وجواره..**».

وخاطب الإمام عمته قائلا:

«**رديه إلى أمه، واكتمي خبر هذا المولود، ولا تخبري به أحدا حتى يبلغ الكتاب أجله..**»[2].

إطعام عام:

وأمر الإمام الحسن الزكي عليه السلام بعد ولادة وليده المبارك بشراء كميات كثيرة من اللحم والخبز فوزعت على فقراء سامراء[3] كما عق عنه بسبعين كبشا، وبعث بأربعة منها إلى صاحبه إبراهيم،

(١) بحار الأنوار: ج١٣ / ص ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج١٣ / ص ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج١٣ / ص ٣.

وكتب إليه بعد البسملة:

«هذه عن ابني محمد المهدي، كل منها وأطعم من وجدت من شيعتنا»[1].

تباشر الشيعة بولادته:

وتباشرت الشيعة بولادة إمامها حجة الله على خلقه الإمام المنتظر عليه السلام وغمرتهم موجات من الفرح والسرور بولادته وكان من الذين بشروا به حمزة بن أبي الفتح فقد قيل له: البشرى ولد البارحة مولود لأبي محمد وأمر بكتمانه..

التهاني بولادته:

وعمت الفرحة الكبرى بولادة الإمام عليه السلام جميع الأوساط الشيعية وقد انبرى جمع من الأعلام والأخبار إلى الإمام الزكي الحسن عليه السلام فهنؤوه بولادة وليده وكان ممن هنأه الحسن بن الحسين العلوي قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي فهنأته بولادة ابنه القائم بـ (سر من رأى)[2]، ولا زالت الشيعة في جميع عصورها يهنئ بعضهم بعضاً بعيد ولادته الأغر وقد انبرى شعراؤهم إلى إظهار فرحهم بعيد ميلاده يقول الشيخ محمد السماوي:

يا ليلة قد أسفرت عن مولد ... طرب الزمان به وطاب الحين

وتبلجت طرق العلى وتبينت ... آي الهدى وأضاء منه الدين

وتوطد الإسلام والإيمان والـ ... ـتبيان والإمكان والتمكين

وتباشر (البيت الحرام) و (طيبة) ... ومعاقل من بعدها وحصون

وضح الهدى وبدا ضمير النشأة الـ ... أولى وأظهر سرها المخزون

وتفايض الجود الذي من أجله ... قام الوجود وكون التكوين

يهنئ النبوة والإمامة قائم ... بالحق مرفوع المنار مكين[3]

[حياة الإمام المهدي عليه السلام]

(١) بحار الأنوار: ج١٣ / ص ١٠.
(٢) الغيبة للطوسي: ص ١٣٨.
(٣) منن الرحمن: ج ٢ / ص٢٣٣.

أوراق اجتماعية

أسلوب النبي صلّى الله عليه وآله في تربية الطفل

الشيخ محمد تقي فلسفي

لقد عمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى توصية أتباعه الاهتمام بتربية الأطفال وبذل العناية البالغة بإحياء الشخصية فيهم، على تطبيق جميع النكات والدقائق اللازمة بالنسبة إلى أولاده، فقد بعث فيهم الشخصية الكاملة منذ الصغر.

لقد كان ﷺ يراقب أطفاله منذ الأيام الأولى للولادة، فالرضاع، فالأدوار الأخرى خطوة خطوة، ويرشدهم إلى الفضائل العليا والقيم المثلى، يحترمهم ويكرمهم حسب ما يليق بهم من درجة تكاملهم الروحي.

وأهم من ذلك أنه كان لا يقصر اهتمامه على اطفاله فقط، بل كان يهتم بتربية أطفال الآخرين أيضاً، فقد كان ـ في الواقع ـ مربياً عظيماً وأباً عطوفاً لأطفال المسلمين أيضاً، وكان يسعى لإحياء الشخصية الفاضلة فيهم قدر المستطاع وعلى سبيل الشاهد نذكر نماذج من سلوكه ﷺ في تربية أولاده وأولاد المسلمين أيضاً.

روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ـ مرضعة الحسين ﷺ ـ قالت: «أخذ مني رسول الله ﷺ حسيناً أيام رضاعه فحمله، فأراق ماءً على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى. فقال ﷺ: **مهلاً يا أم الفضل، إن هذه الاراقة الماءُ يطهرها، فأي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين؟**»[1].

إن مرضعة الحسين عليه السلام ترى في البلل الذي احدثه على ثوب جده ـ شأنه في ذلك شأن سائر الأطفال ـ عملاً منافياً، ولذلك فهي تأخذه من يد رسول الله ﷺ بعنف في حين أن ذلك يخالف سلوك النبي ﷺ مع الأطفال، ومع فلذة كبده الحسين بصورة خاصة.

فالطفل الرضيع يدرك العطف والحنان، كما يدرك الحدة والغلظة بالرغم من ضعف روحه وجسده، ولذلك فهو يرتاح للحنان ويتألم من الغلظة والخشونة. ان الآثار التي تتركها خشونة المربي في قلب الطفل وخيمة جداً بحيث إنها تؤدي إلى تحقيره وتحطيم شخصيته، وإن إزالة هذه الحالة النفسية من الصعوبة بمكان. ولذلك فإن الرسول الأعظم ﷺ يقول لمرضعة الحسين عليه السلام: **إن ثوبي يطهره الماء، ولكن أي شيء يزيل غبار الكدر؟**

الرسول الأعظم وأطفال الناس:

هذه الرعاية التربوية نفسها كانت تنال أطفال المسلمين بصورة عامة، فقد كان ينبه الآباء إلى واجباتهم في الحالات المناسبة، فقد جاء في الحديث: «وكان ﷺ يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسمّيه. فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله. فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال. فيقول ﷺ: «**لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه أو تسميته. فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه**»[2]، في

(١) هدية الأحباب: ص ١٧٦.

(٢) بحار الأنوار- للعلامة المجلسي: ج٦/ ١٥٣.

هذا الحديث ثلاث نقاط جديرة بالملاحظة:

الأولى: أن الرسول الأعظم كان يستغل جميع الأساليب والوسائل لاحترام المسلمين وتكريمهم، ومن ذلك احتضان أطفالهم الرضع بكل حنان وعطف ومعاملتهم بالشفقة، فأحد أهداف النبي في عمله هذا هو تكريم أولياء الأطفال كما ورد التصريح بذلك في الحديث... «تكرمة لأهله».

الثانية: ان الطفل يبول طبقاً لحاجته الطبيعية وأداءً لعمل فطري، ولا يدرك في عمله هذا استحسان المجتمع أو استياءه. ولذلك فإن الرسول ﷺ يقول: **لا تغلظوا معه ولا تمنعوه من التبول، دعوه حراً**. ولا شك في أن إجبار الطفل على إمساك ما تبقى من بوله يخالف القواعد الصحية.

الثالثة: إن خشونة الوالدين وغلظتهما تؤدي الى تحقير الطفل وإيذائه وإن الانهيار النفسي للطفل يؤدي إلى نتائج سيئة طيلة أيام العمر. فعلى الراغبين في تنشئة أطفالهم بصورة صحيحة أن يحذروا من إثارة غبار التألم والاستياء في الضمير الباطن لهم.

الرسول الأعظم والحسن عليه السلام:

يتجلى مدى اهتمام الرسول الأعظم ﷺ بتكريم أولاده من الرواية التالية. يقول الراوي:

«دعي النبي ﷺ إلى صلاة والحسن متعلق به، فوضعه النبي ﷺ مقابل جنبه وصلى. فلما سجد أطال السجود، فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن على كتف رسول الله ﷺ، فلما سلم قال له القوم: يا رسول، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنما يوحى إليك. فقال: **لم يوح إلي، ولكن ابني كان على كتفي، فكرهت أن اعجله حتى نزل**».[1]

هذا العمل من النبي ﷺ تجاه ولده الصغير أمام ملأ من الناس نموذج بارز من سلوكه في تكريم الطفل. ان الرسول ﷺ عمل أقصى ما يمكن من احترام الطفل.

لقد كان أطفال الناس أيضاً يحوزون احتراماً وتكريماً من قائد الإسلام العظيم، وكان يبذل لهم من العناية بمشاعرهم الروحية وعواطفهم ما يبذله لأولاده. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**صلّى رسول الله عليه وآله بالناس الظهر فخفف في الركعتين الأخيرتين. فلما انصرف قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدثٌ؟ قال: وما ذاك قالوا: خفّفت في الركعتين الأخيرتين. فقال لهم:**

(١) بحار الأنوار -للعلامة المجلسي: ج١٠/ ٨٢.

أما سمعتم صراخ الصبي؟»[1].

وهكذا نجد النبي العظيم يطيل في سجدته تكريماً للطفل تارة، ويخفّف في صلاته تكريماً للطفل أيضاً تارة أخرى، وهو في كلتا الصورتين يريد التأكيد في احترام شخصية الصبي وتعليم المسلمين طريق ذلك..

لقد كان أطفال المسلمين أيضاً متمتعين بهذا الاحترام والعطف من النبي أيضاً.

«كان ﷺ يقدم من السفر، فيتلقاه الصبيان فيقف لهم، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم. فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه، وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم»[2].

مما سبق يظهر جلياً أن الأطفال كانوا يتمتعون بهذه المناظرة السارة، وكانوا يفرحون كثيراً لهذا السلوك الممتاز فلا ينسون تلك الخواطر الطيبة، بل كانوا يتحدثون عنها فيما بعد ويتفاخرون بتقدم رتبة بعضهم على بعض بمقدار تكريم النبي لهم.

يقولون: ان الأطفال يستأثرون باهتمام العصر الحاضر، وان تربيتهم تشغل مجالاً واسعاً من تفكير الحكومة والشعب. أفهل يمكن أن يبلغ اهتمامهم بالأطفال، الدرجة التي بلغها اهتمام الرسول الأعظم بهم وتكريمه لهم؟!

يقولون: ان الزعماء والقادة في الدولة المتمدنة يزورون رياض الأطفال ودور الأيتام ويقضون ساعة أو ساعتين مع الأطفال، فيحتضنونهم ويلتقطون صور معهم ثم ينشرونها في الصحف ويكتبون المقالات المطولة حول ذلك ومن هذا الطريق يفهمون الرأي العام بمدى عطفهم واحترامهم تجاه الأطفال من استقبالهم على أتم البساطة والعطف في الطرق والشوارع وحملهم على كتفه ؟!

وبصورة أساسية فإن الرسول الأعظم ﷺ كان يعامل جميع الأطفال سواء كانوا أبناءه أو أبناء غيره بالشفقة والعطف والحنان. وقد جاء في الحديث: «**والتلطف بالصبيان من عادة الرسول**»[3].

[الطفل بين الوراثة والتربية]

(١) الكافي –لثقة الإسلام الكليني: ج٦/ ٤٨.

(٢) المحجة البيضاء – للفيض الكاشاني: ج٣/ ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق.

قيمومة الرجال على النساء

العلامة الطباطبائي

يقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ..﴾، المراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء، وهو زيادة قوة التعقل فيهم، وما يتفرع عليه من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائد في الأعمال ونحوها فإن حياة النساء حياة عاطفية مبنية على الرقة واللطافة، والمراد بما أنفقوا من أموالهم ما انفقوه في مهورهن ونفقاتهن..

إن قيمومة قبيل الرجال على قبيل النساء في المجتمع إنما تتعلق بالجهات العامة المشتركة بينهما المرتبطة بزيادة تعقل الرجل وشدته في البأس، وهي جهات الحكومة والقضاء والحرب من غير أن يبطل بذلك ما للمرأة من الاستقلال في الارادة الفردية، وعمل نفسها بأن تريد ما أحبت وتفعل ما شاءت من غير أن يحق للرجل أن يعارضها في شيء من

ذلك في غير المنكر فلا جناح عليهم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف، كذلك قيمومة الرجل لزوجته ليست بأن لا تنفذ المرأة فيما تملكه إرادة ولا تصرف، ولا أن لا تستقل المرأة في حفظ حقوقها الفردية والاجتماعية، والدفاع عنها، والتوسل إليها بالمقدمات الموصلة اليها، بل معناها أن الرجل إذا كان ينفق ما ينفق من ماله بإزاء الاستمتاع فعليها أن تطاوعه وتطيعه في كل ما يرتبط بالاستمتاع والمباشرة عند الحضور، وأن تحفظه في الغيب فلا تخونه عند غيبته بأن توطئ فراشه غيره، وأن تمتع لغيره من نفسها ما ليس لغير الزوج التمتع منها بذلك، ولا تخونه فيما وضعه تحت يدها من المال، وسلطها عليه في ظرف الازدواج والاشتراك في الحياة المنزلية.

فقوله: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أي ينبغي أن يتخذن لأنفسهن وصف الصلاح، وإذا كن صالحات فهن لا محالة قانتات، أي يجب أن يقنتن ويطعن أزواجهن إطاعة دائمة فيما أرادوا منهن مما له مساس بالتمتع، ويجب عليهن أن يحفظن جانبهم في جميع ما لهم من الحقوق إذا غابوا.

وأما قوله: ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾، فالظاهر أن (ما) مصدرية، والباء للآلة والمعنى: إنهن قانتات لأزواجهن حافظات للغيب بما حفظ الله لهم من الحقوق حيث شرع لهم القيمومة، وأوجب عليهن الإطاعة وحفظ الغيب لهم.

تقوية القرآن الكريم لجانب العقل الإنساني السليم، وترجيحه إياه على الهوى واتباع الشهوات، والخضوع لحكم العواطف والإحساسات الحادة وحضه وترغيبه في اتباعه، وتوصيته في حفظ هذه الوديعة الإلهية عن الضيعة مما لا ستر عليه، ولا حاجة إلى إيراد دليل كتابي يؤدي إليه فقد تضمن القرآن آيات كثيرة متكثرة في الدلالة على ذلك تصريحا وتلويحا وبكل لسان وبيان.

ولم يهمل القرآن مع ذلك أمر العواطف الحسنة الطاهرة، ومهام آثارها الجميلة التي يتربى بها الفرد، ويقوم بها صلب المجتمع كقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩، وقوله: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: الروم ٢١، وقوله:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف ٣٢، لكنه عدلها بالموافقة لحكم العقل فصار اتباع حكم هذه العواطف والميول اتباعا لحكم العقل.

[و] ان من حفظ الإسلام لجانب العقل وبنائه أحكامه المشرعة على ذلك أن جميع الأعمال والأحوال والأخلاق التي تبطل استقامة العقل في حكمه وتوجب خبطه في قضائه وتقويمه لشؤون المجتمع كشرب

الخمر والقمار وأقسام المعاملات الغررية والكذب والبهتان والافتراء والغيبة كل ذلك محرمة في الدين.

والباحث المتأمل يحدس من هذا المقدار أن من الواجب أن يفوض زمام الأمور الكلية والجهات العامة الاجتماعية التي ينبغي أن تدبرها قوة التعقل ويجتنب فيها من حكومة العواطف والميول النفسانية كجهات الحكومة والقضاء والحرب إلى من يمتاز بمزيد العقل ويضعف فيه حكم العواطف، وهو قبيل الرجال دون النساء.

وهو كذلك، قال الله تعالى: ﴿**الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ**﴾ والسنة النبوية التي هي ترجمان البيانات القرآنية بينت ذلك كذلك، وسيرته ﷺ جرت على ذلك أيام حياته فلم يولِّ امرأة على قوم ولا أعطى امرأة منصب القضاء ولا دعاهن إلى غزاة بمعنى دعوتهن إلى أن يقاتلن.

وأما غيرها من الجهات كجهات التعليم والتعلم والمكاسب والتمريض والعلاج وغيرها مما لا ينافي نجاح العمل فيها مداخلة العواطف فلم تمنعهن السنة ذلك، والسيرة النبوية تمضي كثيرا منها، والكتاب أيضا لا يخلو من دلالة على إجازة ذلك في حقهن فإن ذلك لازم ما أعطين من حرية الإرادة والعمل في كثير من شؤون الحياة إذ لا معنى لإخراجهن من تحت ولاية الرجال، وجعل الملك لهن بحيالهن ثم النهي عن قيامهن بإصلاح ما ملكته أيديهن بأي نحو من الإصلاح، وكذا لا معنى لجعل حق الدعوى أو الشهادة لهن ثم المنع عن حضورهن عند الوالي أو القاضي وهكذا.

اللهم إلا فيما يزاحم حق الزوج فإن له عليها قيمومة الطاعة في الحضور، والحفظ في الغيبة، ولا يمضي لها من شؤونها الجائزة ما يزاحم ذلك.

[الميزان في تفسير القرآن: ج٤ ص٣٤٣]

أوراق ثقافية

الخاطرة

د. محمود البستاني

تجسّد (الخاطرةُ) في حقل الأدب (إحساساً) مفرداً حيال أحد الموضوعات. ونقصد بـ(الإحساس المفرد) ما يـقابل (الفكر المركّب)، فيما يتناول موضوعات ذات طابع تفصيلي يعتمد أدوات الفكر الاستدلالي في صياغة الشكل الفني. وهذا بعكس (الخاطـرة) التي تعني مجرّد (إحساس) يتّسم بـالتأمل السريع لإحدى الظواهر، مع تسليط ضوءٍ فكري مركّز عليه، وحصْرِها في نـطاق محدد من التناول.

أما (هيكل) الخاطرة، فيصاغ وفق عبارة قصيرة مصوِّرة جميلة، أي: ذات انتقاءٍ صوتي (إيقاعي) من حيث تجانس وتآلف الحرف والمفردة والفقرة، وذات عنصر (تخيّلي) يعتمد الصورة أو المأثور اليومي، تعبيراً عن الإحساس الذي تقوم عليه (الخاطرة). إنها في هذا الصدد لا تختلف عن سائر أشكال التعبير الفنّي، من حيث اعتمادها عنصر (الصوت) و(الصورة) و(البناء) أساساً لهيكلها الفنّي.

بَيْد أنَّها تتميّز بكونها (إحساساً سريعاً) حول أحد الموضوعات، حيث تستتلي سرعة هذا الإحساس شكلاً فنيّاً يقوم على حجم صغير من التناول، وعبارة قصيرة أو متلاحقة، مفعمة بالتساؤل والاستطلاع، أو السرد والعرض المجرّدين لهذا الإحساس أو ذاك.

وأهمية هذا الشكل الفني تتمثّل في كونها تتساوق مع حركة الإنسان، التي تواجه يومياً أكثر من ظاهرة أمامها عبْر ممارستها أحد الأعمال، فقد يستوقفها حادث اصطدام، أو مرور جنازة، أو مصافحة بين صديقين، أو أذان المسجد، أو رائحة شواء، أو صراخ الباعة، أو مجرد سماعها لنبأ أو مشاهدتها لظاهرة كونية... أمثلة هذه (المواجهة) العابرة التي تخطف كلاً منّا يومياً، تقترن كما هو واضح بإحساسٍ عابر، وتتطلّب كما هو واضح أيضاً حجماً قصيراً لا يتجاوز الأسطر، وشكلاً فنياً متطابقاً مع تموّجات الإحساس الذي تستثيره مثل هذه المواجهة.

ولا يخفى أيضاً أن لظهور الصحافة في العصور الحديثة أثره في حمل الكتّاب على ممارسة هذا اللون من الكتابة، التي تحتل جانباً صغيراً من (أعمدة) الصحيفة أو المجلة. بَيْد أن هذا يشكّل مجرد باعث لانتشارها وليس لكاتبها بعامة ؛ ولذلك فلا يكاد يخلو عصر من عصور الأدب من أمثلة هذه (الخواطر) التي يمارسها الكتّاب قديماً وحديثاً.

المهم، يعنينا أن نعرض بعض (النماذج) التي أَلِفَها الأدب التشريعي في هذا الصدد، ولنقرأ هذه الخاطرة السريعة للإمام الحسن عليه السلام في وصف أخٍ صالحٍ له:

«كان من أعظم الناس في عيني. وكان رأس ما عظمَ به في عيني صغر الدنيا في عَينِه. كان لا يشتكي ولا يتبرّم. كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال، بذَّ القائلين. كان إذا جالس العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول، وإذا غُلب على الكلام لم يُغلب على السكوت. لا يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول. وإذا عرض له أمران لا يدري أيّهما أقرب إلى ربّه، نظر أقربهما إلى هواه فخالفه. لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر فيه».

إن هذه الخاطرة تشمل في واقعها مجموعة (أحاديث) نجدها منتثرةً هنا وهناك، غير أن ما يميزها هو: تطبيق مضمونها الذي يُشكّل

توصيات لسمات أخلاقية معيّنة، خلعها الإمام الحسن عليه السلام على أحد إخوانه. وقد اكتسبت طابعاً فنياً يميّزها عن مجرد الحديث ؛ نظراً لتمركزها حول شخص محدّد أملاه موقف عابر يتصل بالشخص المذكور، فجاءت (خاطرة) تحوم على (سمات) لحظها الإمام عليه السلام متوفّرة لدى الشخص.

ولعل أول ما يلفت انتباهنا من الخاطرة المذكورة، هو (واقعيتها) أو (حقيقيتها) التي لا نألف مماثلاً لها في الأدب الأرضي. فالشعراء أو الكتّاب (في حقل المراثي أو المدائح على سبيل المثال) لا يكادون يتناولون ميتاً بالرثاء، أو حيّاً بالمدح، إلّا وتجد (المبالغة) المقيتة طابعاً لنتاجهم، فالشمس والقمر، والجبل والجو، والبر والبحر والشجَر، تصبح عرضة للكسوف والخسوف، والزلزال والإعصار، والخسف والجفاف والْيَبْس نتيجة لموت أحد الأشخاص، أو أن كلّاً من الظواهر الكونية المذكورة تقف منحسرةً أمام عظمة الشخص وسخائه مثلاً...

الإمام عليه السلام لم يصُغْ أية حقيقة لدى الشخص المذكور، خارجة عن سماته الموجودة فعلاً لديه، فأشار إلى زهده وعدم شكواه، وصمته وتسامحه...، دون أن يضيف إليها أو ينتقص منها شيئاً. كل ما في الأمر أن إشارته عليه السلام للسمات المذكورة صيغت وفق لغة (فنية) تتطلّبها الحقيقة ذاتها من حيث انعكاساتها في ذهن الكاتب والمتلقّي، وهذا ما يقودنا ولو سريعاً إلى توضيح بعض القيم الفنية للخاطرة المذكورة.

أول ما يطالعنا في هذه الخاطرة عنصر (التقابل) الذي يشكّل أحد مكوّنات (الصورة الفنية)، كما يُطالعنا أحد أشكال الصورة متمثّلاً في (الرمز).

ويمكننا ملاحظة هذين العنصرين في الفقرة التالية: «**وكان رأس ما عظم به في عيني: صغر الدنيا في عينه**».

إنّ أهمية هذه الفقرة تتجسّد في انطوائها على الصورة الاستمرارية أو المركّبة، أي تعاقب الصور فيها وتداخلها فيما بينها. فثَمَّة صورة هي «**صغر الدنيا في عينه**» تقابلها صورة «**رأس ما عظم به في عيني**». ونفس (التقابل) بصورتيه: العظمة والصغر يشكّل (صورة) لها استقلاليتها وإثارتها الفنية.

مضافاً إلى ذلك من حيث البناء الفني لمجموع الصور أنّ استهلال الخاطرة بالصورة القائلة: كان من أعظم الناس في عيني. يجسّد تمهيداً، أو موقفاً مُجملاً، يتقدّم النصُّ بعد ذلك بتفصيله الذي اضطلعت به الصورتان المتقابلتان، أي إنّ التعليل الفنّي للحقيقة القائلة بأنَّ الأخ المذكور كان من أعظم الناس في عينه، إنما كان في الدرجة الرئيسة لصغر الدنيا في عين الأخ. بكلمة أخرى: جاء عنصر (التقابل) جواباً

فنيّاً يفصّل (التمهيد) الذي استهلت به الخاطرة.

ولا يخفى مدى انطواء هذا النمط من (بناء الصور) وتداخلها وتواشجها العضوي، الذي يُنمّي أفكار الخاطرة من خلال التمهيد وتفصيله، لا يخفى ما لهذا النمط العماري من إثارة فنيّة قد يجهلها القارئ العابر، إلّا أن الناقد الذي يمتلك حسّاً تذوقياً، يقدّر خطورة الإثارة التي يستجيب لها وفاقاً لمنطق البناء المذكور.

وإذا ذهبنا نتابع سائر مقاطع الخاطرة، لحظنا أن عنصر الصورة المتمثل في (التقابل)، يكاد يشكّل البطانة أو العصب الفنّي للخاطرة:

فهناك (الصمت) يقابله (القول): «**كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال، بذّ القائلين**».

وهناك (الاستماع) يقابله (القول) أيضاً: «**على أنْ يسمع أحرص منه على أن يقول**».

وهناك (الفعل) يقابله (القول) أيضاً: «**لا يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يقول**».

ولا نغفل أن (التقابل) الأخير ينطوي على عنصرين من التقابل: أحدهما: القول والفعل، والآخر: (لا) و(و) (لا يقول ويفعل)، هذا إلى أن (تقابلاً) متكرراً أخذ موقعه العضوي من الخاطرة، متمثّلاً في «**إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على السكوت**».

إن هذا الحشد الضخم، المتعاقب، المتداخل، المتكرر، المتجانس: من (التقابل) بين «**القول والفعل**»، وصياغته وفق منحنيات متعددة من الطرح، يشكّل عملاً فنيّاً ضخماً له قدراته التوصيلية، التي لا يستكنه قيمتها إلاّ مَن خبر طرائق الاستجابة في السلوك البشري وتحديد مواطن الإثارة منها.

بَيْد أن أهم ما يلفت الانتباه في هذا الصدد، هو: أن عنصر (التقابل) بشكله المتجانس (الصمت والقول والفعل) حيث انصبّ هيكل الخاطرة على المفردات الثلاث المذكورة إنما صيغ ببساطة ويسر وسهولة، يظن القارئ من خلالها أنه حيال مجرد أحاديث عن مجالسة العلماء واختيار الصمت واقتران القول بالعمل... لا أنَّه حيال شكل فنّيّ صيغ وفقاً لسمات خاصة، لها أسرارُها في عملية التذوق وتعميق الدلالة التي يستهدفها الإمام عليه السلام من الخاطرة المذكورة.

أخيراً ينبغي أن نعرف أن صياغة الأفكار المذكورة وفقاً لقيمٍ فنية خاصة، إنَّما توكّأت على عنصر (الفن)، فلأن هذا الأخير يساهم في بلورة وتركيز (القيمة الفكرية) للخاطرة، ممّا يعني أن (الأفكار) المستهدفة في الخاطرة، ينبغي أن نتمثَّلها عملياً في سلوكنا اليومي، ما دام (الفن) مجرد وسيلة لمعرفة الوظيفة العبادية.

إذن، لنلخّص (أفكار) الخاطرة، ونعرضها على واجهة أعمالنا التي نعتزم ممارستها من خلال الوظيفة العبادية.

وها هي الخاطرة تقول:

١- لتكن الدنيا صغيرةً في عينك.

٢- لا تشك ولا تتبرّم.

٣- اختر الصمت على الكلام.

٤- تكلّم بجدية وعلم إذا كان الأمر مستدعياً لذلك.

٥- إذا ضمك مجلس العلم، فاحرص على الاستماع لا الكلام.

٦- لم تخسر شيئاً بسبب الصمت، ولكن قد تخسر شيئاً بسبب الكلام.

٧- كن على العمل أحرص منك على القول.

٨- مارس عملية (تأجيل) لشهواتك.

٩- لا تعاتب أحداً وأنت تجد له موضعاً لإمكانية العذر.

إن هذه التوصيات التسع التي تضمنتها (الخاطرة) السريعة، حينما نعرضها على اللغة النفسية التي اخترناها إلى جانب اللغة الفنية في دراستنا للفن التشريعي، نجدها تتناول جملة من الحقائق أو لِنَقُلْ: جملة من العمليات النفسية وهي:

١- الزهد. ٢- التسامح.

٣- الصبر. ٤- الصمت.

(فالزاهد) لا يُعنى بأية حاجة دنيوية تستتلي التوتر والانشطار نتيجة لعدم إشباع الحاجة المذكورة.

(المتسامح) لا يسمح لذاته بأن تُنمى لديها أية نزعة عدوانية، فيربح بذلك توازناً داخلياً ملحوظاً، بعكس النزعة الحاقدة التي تقترن بتوتر الأعماق وصراعاتها.

و(الصابر) يوفر لنفسه التوازن المذكور، بعكس (الجازع) الذي يرشّح شخصيته للوقوع في هاوية أكثر من مرض.

أما (الصامت)، فيكفيه أنه يدرّب شخصيته على (وأد الذات)، ولا يسمح لها بالتورُّم والتمركز حول الذات، حيث تمزّق إحباطات الحياة المختلفة كل تطلّعات الذات المريضة، وتساهم في تعميق مرضها.

[الإسلام والفن: ص١٦٦]

رائعة الشيخ حمادي

في رثاء الامام الحسين عليه السلام

أهاتفة البان بالأجرع ... مليّاً بفرع الاراك اسجعي
وأمنا فما ريع سرب القطا ... بنافحة الروض من لعلع
يقرّ المقيل لذات الهديل ... بدور البليل على المرتع
جزعنا التياعاً ليوم الحسين ... فإن كنت والهة فاجزعي
ليوم به انكسف المشرقان ... بغاشية الغسق الأسفع
وغودر في الطف سبط الرسول ... صريع الظما بالقنا الشرّع
سقى حفراً بثرى كربلا ... نمير الحيا غدق المربع
توارت بها أنجم المكرمات ... بأدراع غلب هوت صرع

بمصرعها يصدع الحامدون ... ثوت والمكارم في مصرع
تعفرها سافيات الرياح ... عصفن بآفاقها الأربع
تحف بعاقد أعلامها ... وملحقها بالذرى الأرفع
قضى عطشا ولديه الزلال ... تدفق عن طافح مترع
فيا ظامياً شكرت فيضه ... ظوامي ثرى الخصب الممرع
أيا غادياً بذرى جسرة ... متى اتقدت هضب تقطع
أمون تجانب لمع السراب ... إذا عبث اللمع بالألمعي
إذا جزت متقد الحا ... وشمت سَنا يثرب فاخشع
وقبّل ثرى روضة المصطفى ... وصلّ وسلّم ولج واصدع
سقتك العدى يا نبيّ الهدى ... بكأس الردى رنق المنقع
أتاحت لأبناك ضنك الفناء ... وأفناهم ضنك الموقع
وصمّاء جعجع فيها بنوك ... نفوساً على أقتم جعجع
جلتها جسومهم النيرات ... ممزقة بالظبا اللمع
هوت وقعاً من ذرى الصافنات ... كأقمار تمٍّ هوت وقّع
تمزّقها شفرات الضبا ... بكف ابن رافثة ألكع
وجوه كشارقة الزبرقان ... لها السمر منزلة المطلع
تناديك تحت مهاوي السيوف ... بآخر صوت فلم تسمع
أُريقت دماك فلم تنتقم ... وسيقت نساك فلم تهلع
مروّعة بصدى هجمة ... أطارت لها أعين الروع
فأبرزن من خيم أضرمت ... بذاكية اللهب المسفع

تشدّ براقعها خيفة ... فتغلب قهراً على البرقع
وخائفة فزعت رهبة ... فاهوت على جسد المفزع
تلوذ به فتنحي بها ... بعنف يدا لُكع أكوع
ومرضعة نحرت طفلها ... من القوس نافذة المنزع
تلاقى السما بدما نحره ... أفي الله هان دم الرضّع
وثاكلة صرخت حوله ... تناديك عن كبد موجع
أيا جدّ صلّى عليك المجيد ... ونلت ثنا الافوه المصقع
حبيبك بين ذويك الكرام ... أضاحي منى بتن في موضع
تقلّبها حلبات الخيول ... سليبة ضافية المدرع
ومضنى يئنّ بثقل القيود ... مشالاً على جمل أضلع
يرى حرم الوحي إن أرسلت ... مدامعها بالقنا تُقرَع
أُسارى يكلفهنّ الحداة ... رسيما على هزلٍ ضُلّع
تجشمّها ربوات الفلى ... وتحضرها مجلس ابن الدعي
ويُدنى القضيب لثغر الحبيب ... فان ضاء مبسمه يقرع
تسرّع فيك ابن مرجانة ... فنال المنى أمل المسرع
وساق عيالك سوق الإما ... تجوب فلى مربع مربع
أألله يا غضب الأنبياء ... لهتك الهدى بضبا الوضّع
فيا صفوة الله من خلقه ... ومن لشفاعتهم مرجعي
أُجلكم أن أزور القبور ... وحمل ذنوبي غدا مضلعي
أبى الله يخزي وليّ الكرام ... ويدعو بها يا كرام اشفعي

في مدح الحجّة المهدي المنتظر عجل الله فرجه في ذكرى مولده

الشاعر السيّد حيدر الحليّ

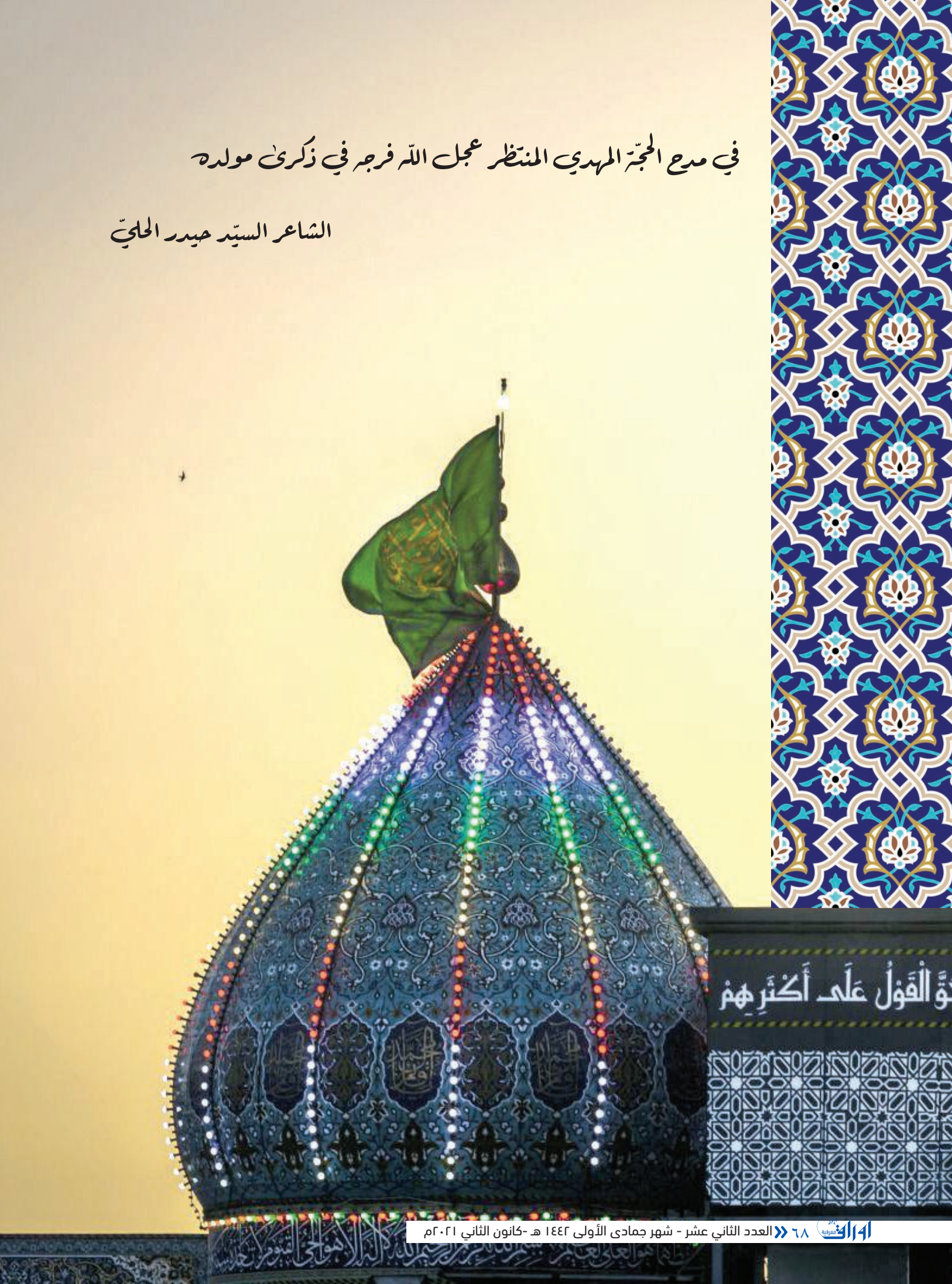

بشرى فمولدُ (صاحب الأمرِ) أهدي إليك طرائفَ البشرِ
وبطلعة منه مباركة حيى بوجهك طلعة البدرِ
وكساك افخر خِلعةٍ مكثت زمناً تنمقها يد الفخرِ
هي من طراز الوحي لا نزعت عن عطف مجدك آخر العمر
وإليك ناعمة الهبوب سرت قدسية النفحات والنشر
فحبتك عطراً ذاكياً وسوى أرج النبوّة ليس من عطر
الآن أضحى الدين مبتهجاً وفم الإمامة باسم الثغر
وتباشرت أهلُ السماء بمن حفَّت به البُشرى إلى الحشر
فَرِحَتْ بمن لولاهُ ما حُبيت شرف التنزل ليلة القدر
ولما أتت فيه مسلمة بالأمر حتّى مطلع الفجر
لله مولده ففيه غدا الإسلام يخطر أيّما خطر
هو مولد قال الإله به كرماً لعينك بالهنا قُرِّي
وحباك أنضر نعمة وفدت فيه برائق عيشك النضْرِ
باكِر به كأس السرور فما أحلاه عيداً مرَّ في الدهر
صقلت به الأيام غرَّتها وجلت وجوه سعودها الغُرِّ
هو نعمة لله ليس لها مَنْ في الوجود يقوم بالشكر
فلكم حشىً من أنسه حَبُرَتْ في روضة مطلولة الزهر
ولكم على نشر الحبور طوت طيَّ السجل حشىً على جمر
من عصبة وتروا الهدى فلذا حنقوا بمولد مدرك الوتر
سيف كفاك بأن طابعه ملك السما لجماجم الكفر
بيديه قائمه وعن غضب سيسلُّهُ لطُلَى ذوي الغدر
فترى به كم خدر ملحدة نهب وكم دم ملحد هدر
حتّى يعيد الحق دولته تختال بين الفتح والنصر

للمجتبى (الحسن) الزكي زَكَى ... عيصٌ أَلَفَّ بطينةِ الفخر

نشأت (بسامراء) أنمله ... ديما تعم الأرض بالقطر

وكأنّه فيها وصفوته ... أهل النهى والأوجه الغر

قمر توسط هالة فغدا ... فيها يحف بشهبها الزُّهْرِ

متضوع أرج السيادة من ... عطفي علاه بأطيب النشر

عف السرائر طاهر الأُزر ... عذب الشمائل طيب الذكر

(عمار) محرابِ العبادةِ قد ... نشر الإله به (أبا ذر)

وحباه علماً لو يقسمه ... في دهره لكفى بني الدهر

حرُّ العوارف يسترقُّ بها ... في كلّ آن ألسن الشكر

ومنزَّهٌ ما غبَّرت يده ... تبعات هذي البيض والصفر

جذلان يبدأ بالسخا كرما ... ويعيدهُ ويضنُّ بالعذر

وله شمائل بالندى كرمت ... فغمرن من في البر والبحر

والمرءُ لم تكرم شمائله ... حتى يهين كرائم الوفر

مولى علت (فهرٌ) بسؤدده ... وله انتهى إرثٌ على فهر

من لو مشى حيث استحقَّ إذاً ... لمشى على (العيوق والنسر)

الخلق من ماء لرقته ... والحلم مفطور من الصخر

تبري طلى الاعدام أنمله ... بصنائع من معدن التبر

لم تترك خطباً تصادفه ... إلّا ثنته مُقَلَّمَ الظفر

يا واحد العصر استطلْ سُرفا ... فقد استنابك (صاحب العصر)

ورأى (وليُّ الأمر) فيك نُهىً ... فدعاك: قم بالنَّهي والأمر

فَمَثُلت في الدنيا وكنت لها ... علماً به هُدِيَتْ بنو الدهر

يا خير من وفدتْ لنائله ... وأجلَّ من يمشي على العفر

بك إن عَدِلْتُ سواك كنت كمن ... يزن الجبال الشُّمَّ بالذر

إن كـان زان الـشعـر غـيرك في ... مـدح فـمـدحـك زيـنـة الـشعـر

مـاذا أقـول بـمـدحـكـم ولـكـم ... جـاء المـديـح بـمـحـكـم الـذكـر

كـيـف الـثـنـاء عـلى مكـارمـكـم ... عـجز البـلـيغ وأُفْـحِـمَ المُـطْـرِي

فـاسْـلـمْ ولا سلمت عـداك ودُمْ ... ولـك الـعُـلى ونـبـاهـة الـقـدر

[ديوان السيد حيدر الحليّ]

يا نفس

أما تعلمين أن الموت ميعادك، والتراب في القبر وسادك، والدود يأكل لحم خديك، وإنسان عينك، والفزع الاكبر بين يديك، أما تعلمين أن الاموات يتمنون الرجعة إلى هذه الدار، ليشتغلوا بتدارك تكفير الاوزار، ولو قدروا على يوم من عمرك، أو ساعة من دهرك، لاشتروا ذلك بأعلى الاثمان، والياقوت البهرمان، وأنت الآن في أمنيتهم لا في منيتهم، وفي مقامتهم لا في قيامتهم.

يا نفس:

أما تستحين تزينين ظاهرك للعوام، وتبارزين الله في السر في الجرائم، وكيف تأمرين بالخير الداني والقاصي وأنت ملطخة بالمعاصي ؟ ! تدعين إلى اللين وأنت قاسية، وتذكرين بالله وأنت له ناسية.

إذا أنت عبت الامر ثم أتيته فأنت ومن تزري عليه سواء فليكن قلبك محزونا، وشرك مأمونا، ونفسك عفيفة، وحوائجك خفيفة، واصبري أياما قليله، لراحة طويله، وانظري وجهك في المرآة في كل آن، وفي كل وقت وزمان، فإن كان وجهك مليحا، فاستقبحي أن تضيفي إليه فعلا قبيحا، وإن كان وجهك ليس بالزين، فلا تجمعي بين القبيحين، وانظري إلى قول الشاعر: شعر:

يا حسن الوجه فكن محسنا
لا تبدلن الزين بالشين

ويا قبيح الوجه لا تجمعن
بالله ما بين قبيحين

يا نفس:

إياك واستعمال الرياء، فإنه موجب للمقت والشقاء، حيث ينادى عليه يوم تبلى السرائر: يا مرائي يا فاجر يا غادر، ثم يقال له في التوبيخ على رؤوس الاشهاد: أما استحييت إذ استخففت نظر سلطان المعاد، وراقبت قلوب العباد وتقربت إلى المخلوقين بالبعد عن المهيمن الجواد.

[محاسبة النفس اللوامة]